

الباب السادس

انتشار الإسلام في
مدن عُشْفَر وجزر الفهر

الفصل الأول

انتشار الإسلام في مدغشقر

إذا كان الحديث في الفصول السابقة عن الإسلام في الإمارات الإسلامية، الممتدة في ساحل شرق أفريقيا الشمال وساحل إمارات الطرز الإسلامي الحبشية ، ثم ساحل الصومال (مقديشو وساحل الزنج) فإن الامر يقتضى - ما دام ذلك البحث عن حركة المد الإسلامي في شرق أفريقيا- أن نتحدث عن جزر القمر وجزيرة مدغشقر ، وبالنسبة لجزيرة مدغشقر، فقد ذكروا أن سكان الجزيرة جاءوا إليها من أفريقيا وبلاد العرب، وقد اختلط بعض ملاحى العرب، الذين كانوا يترددون على الساحل الأفريقى الشرقى- منذ زمن بعيد- بسكان هذه البلاد ، كما اختلطوا بجنس الملايو، الذين لا يستبعد أن تكون الرياح قد طردتهم، وألقت بهم السفن التى كانت تقلهم على سواحل هذه الجزيرة، كما أنه توجد فى الجزيرة قبيلة قوية تسكن الساحل الجنوبي الشرقى من البلاد، وتدعى قبيلة اتيمورونا، يذكر أن أجدادهم وأسلافهم القدامى قدموا إلى ذلك الجزء من مدغشقر من مكة المكرمة، وأنهم ينسبون إلى أشرف مكة ، ويذكر فى ذلك المجال أرنولد توماس فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، أن تحول هذه الجزيرة إلى الإسلام، لا بد أن يكون قد تم على أيدي دعاة من العرب ، وأن الوقت الذى تحولت فيه هذه القبيلة إلى الإسلام، لا يمكن تحديده بالضبط: هل كان فى أى قرون من القرون الهجرية الأولى، على الرغم من أن هناك بعض الأساطير التى يرويها سكان الجزيرة من أن إسلامهم يرجع إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إن تلك المعلومات تكاد تكون موثوقة تاريخيا ، ذلك لأن الرحالة الأوروبيين من البرتغاليين والإيطاليين، الذين زاروا الجزيرة فى القرن السادس عشر الميلادى قدروا فى كتاباتهم عن سكان الجزيرة، أن إسلامهم قديم، قدم الدعوة الإسلامية فى عهدها الأول، أى إن إسلام أسلافهم قد تم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وربما قد يكون فى عهد الشيخين (أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب) .

وينتشر الجنس العربى فى مدغشقر، لاسيما فى الجزء الشمالى الشرقى من الجزيرة

والجنوب الغربي، ولا يستبعد أن يستبق الأسرة الحاكمة من سلالة العرب الأوائل، الذين اختلطوا مع السكان الأصليين بالمصاهرة والزواج، وقد تكون من الأفريقيين والعرب والملايو فى مدغشقر ما يعرف بالجنس الملجاش أو الملجاشى؛ حيث يتكلمون اللغة الملجاشية، التى تمتزج ببعض الكلمات السواحلية، وهم شعب يميل إلى الشعر والموسيقى، ويشغل الرجال بالزراعة، وتقضى النساء أوقاتهم فى نسج وغزل الخيوط، وقد مهر الرجال فى أعمال البناء، وفى صناعة الحديد والنحاس والسلاسل الذهبية والفضية والفخار، ويعرف الملجاش بالفصاحة، وتنتشر بينهم الخرافات، ويشغل كثير منهم بالعرفاء .

وقد تكون تاريخ انتشار الإسلام فى بلاد خط الاستواء الأفريقية والجزر المجاورة لها، والتى منها جزيرة مدغشقر، بحيث لا يعرف عن تاريخ الإسلام والمسلمين بها إلا القدر اليسير؛ حيث إن الكتابات الأولية للمواطنين العرب والمسلمين القدامى، الذين كانت كتاباتهم المصادر الأساسية فى كتابة التاريخ، لم تتناول الحديث عن تلك الجزر، وإن كان ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» قد أشار إلى مدغشقر، على أنها من أكبر جزر القمر فى وسط بحر الزنج، وليس فى ذلك البحر جزيرة أكبر منها والحقيقة التاريخية تؤكد تلك الأقوال؛ حيث إن مدغشقر هى أكبر جزيرة فى ساحل شرق أفريقيا، وإن كان ياقوت الحموى قد أشار إليها، على اعتبار أنها أكبر جزر القمر، وقال عنها إن فيها عدة مدن وملوكًا، يخالف كل واحد منهم الآخر، وإن كان العرب قد أشاروا عن مدغشقر بأدنى المعلومات؛ حيث قالوا ان بها شعبًا يعرف بالهوها، وأنه لم يعرف الكتابة إلا منذ فترة وزمن قصير، أما قبيلة الأنتيمورونا التى تسكن الجنوب الشرقى، فقد استعملت الكتابة والخط العربى، منذ زمن طويل، قبل الهوها وصار عندهم بعد دخولهم الإسلام شىء من الأدب اللغوى العربى .

وقد انتشر المسلمون فى أجزاء عديدة من جزيرة مدغشقر، فنجد مثلاً فى أحد ثغور الجزيرة وهو ميناء بهاجونجو، التى توجد به جالية عربية عظيمة من المسلمين السنيين، الذين ينهجون مذهب الإمام الشافعى مذهباً دينياً لهم، ويتخذون فى جميع أحوالهم اللغة العربية حديثاً لهم، بل إنهم يستخدمونها فى جميع أمورهم، ويكتبون لغتهم بالحروف العربية، بل إنه يوجد من بينهم من يتكلمون اللغة العربية ويتحدثونها بطلاقة جيدة، وإن كان سكان ذلك الميناء يعرفون بأنهم من أصول عربية، قبل انتشار الإسلام إليهم، وأن لهجاتهم هى إحدى اللهجات السواحلية الأصل، التى تغيرت عن أصلها السواحلى باختلاف اللفظ وباختلاط سكان جزر القمر مع أهالى مدغشقر؛ ذلك لأن أهالى مدغشقر منذ عصور طويلة،

وهم على صلة مستمرة ومتصلة مع سكان جزر القمر .

ومدغشقر جزيرة كبرى واسعة الأطراف ، بعيدة الأكناف، وهى من جزر العالم المشهورة، يمتد طولها أكثر من الف وستمائة كيلو متر، وعرضها قرابة ستمائة كيلومتر ، ويقدر علماء الجغرافيا مساحتها بحوالى ٢٢٨,٥٠٠ خمسة آلاف واثنين وثمانية وعشرين كيلومتراً مربعاً، وموقعها فى أسفل ساحل شرق أفريقيا، وسكانها قبائل متنوعة، وأكبرها قبيلة هوبا وتيسلو وسمهدت وغيرها، وأكبر مدنها العاصمة تاناناريف ، ثم تأتى بعدها ثلاث مدن كبرى أخرى، وهى: تمتناف، أكبر ميناء لرسو السفن الكبيرة ومدينة مجنكا ، ومدينة دانيو، وهذه المدن الثلاث يكثر فيها المسلمون، وتكثر فيها مساجدهم، وتوجد كذلك كثير من القبائل الإسلامية، التى تقطن الساحل الشمالى الغربى فى مدغشقر وكذلك توجد بعض الاسر العربية والسواحيلية، التى استقرت فى الجزيرة، بالإضافة إلى أنه يوجد عديد من القبائل الكبرى، التى تغطى الجزيرة، ومنها: قبائل تنالا Tanala، وقبيلة انتانكارانا Antankarana، وقبيلة اتسنى هانكا Antsihanakaka، وقبيلة ساكالفا Sakalava، وقبيلة بستى ساراكا Besti sa-raka، بالإضافة إلى قبيلة الهوبا المشار إليها، وقبيلة الأنتامورونا Antamorona. ويقال إن تلك القبائل- مع اختلاف اصولها العرقية والسلالية والجنسية- فإنها تمثل امة واحدة، ولقد كان العرب من الجماعات التى قدمت زرافات؛ فقد أدخلوا فيها عاداتهم وعقائدهم، ولكن لم يطل بهم الزمن حتى اختلطوا وامتزجوا بالأهالى الأصليين، وتزوجوا منهم وقصاهروا، ولم يبق من عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم القديمة إلا الشيء اليسير .

بل إنه حاول بعض المؤرخين الفرنسيين، ومنهم الفرنسى جيرال فراند Gubril Fe- rand أن ينكر دور العرب بقوله إن العرب والمسلمين لم يتركوا تأثيرهم العقائدى، إلا فى قبيلة الأنتامورونا، التى أعلنت دخولها فى الاسلام، وحتى إسلامهم كان ضعيفاً، وإن كان الإسلام قد تأثرت به بعض القبائل الأخرى، ولكن كان إسلامها حقيقياً فى بادئ الأمر، ثم تعمق الشعور الإسلامى فيما بعد. وتسكن قبيلة الأنتامورونا الإسلامية الساحل الجنوبى الشرقى من مدغشقر بين مصب نهر المانجارا، ومدينة ماريندانو؛ اى على طول مائتين وخمسة وعشرين كيلو متراً، ويسكن إلى الشمال من هذه القبيلة، قبيلة اليتمزراكا، وعاصمة قبيلة الأنتامورونا الإسلامية، هى مدينة ماتيا نانا على ضفة النهر المسمى باسمها، وتوجد فروع كثيرة من الأنتامورونا، مستقلة بعضها عن بعض، ولكنها خاضعة من الوجهة الدينية والحكومية لقبيلة لاناكارا، الذين فيهم بيت الحكم؛ حيث هى فروع منهم، ولهم

التقدم على جميع قبائل الجزيرة .

ولا يتزوج بعضهم إلا من بعض فكأنهم قريش الأنتامورونا، ومنهم ملوك القبيلة كلها، وهم أمناء الدين الإسلامى، وفى أيديهم ادارة المساجد التى يقرضون لأجل نفقاتها وإنارتها وإصلاحها نفقات زهيدة على أبناء ملتهم. ويزعم الأنتامورونا أن أصلهم من مكة المكرمة ويحتفظون بأصولهم العرقية بكتب خطية عربية، متناهية فى القدم، وألوانهم نحاسية، وأبصارهم حادة، وشعورهم مجمدة، ولكنهم هم وحدهم الذين سبقوا كل القبائل إلى الإسلام، كما أنهم سبقوا كل القبائل فى تعليم أولادهم حفظ القرآن الكريم، ودراسة العلوم الإسلامية، واللغة العربية ، حيث إن الكتابات - كما ذكر بعض الذين زاروا تلك القبيلة - منتشرة على نطاق واسع، وتوجد عندهم بكثرة؛ حيث يقوم الفقيه أو شيخ الكتاب بتعليم الاولاد حفظ القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة .

ولقد كتب جميع الكتابات الرسمية فى قصور ملوك الهوفا، رجال من قبيلة الأنتامورونا باللغة العربية؛ حيث كانت هى اللغة الرسمية لمدغشقر، طوال عصور تاريخية طويلة، قبل قدوم رجال الاستعمار الغربى. وهذه القبيلة المسلمة الأنتامورونا تعتبر من أولى القبائل، التى تسكن مدغشقر، وتبدى عناية تامة بأولادهم. وهذه هى تعاليم الإسلام التى تحض على الاهتمام بتربية الأبناء تربية صالحة، وهم رجالا ونساء شديدى التمسك بالإسلام، وهم يطبقون الشريعة الإسلامية فى كل أمورهم كالميراث والزواج والسرقة والقتل والزكاة والعشور، وكانت قبيلة الأنتامورونا قبل الدخول فى الإسلام واعتناقه تعيش فى الجاهلية، شأنها شأن القبائل الأخرى؛ حيث كانت لها عاداتها وتقاليدها الوثنية .

ولقد كان وجود هذه القبيلة الإسلامية فى مدغشقر، من الأسباب القوية لمعرفة تاريخ وأصول تاريخ هذه الجزيرة؛ حيث انه لا توجد فى مدغشقر تواريخ عن أصول الأهالى، ولكن تقدم ورقى قبيلة الأنتامورونا- بسبب اعتناقها للدين الإسلامى، ومعرفتها بالكتابة والقراءة، ووجود الكتابة العربية عندهم- ساعد على معرفة العالم ببعض الأمور عن الجزيرة؛ فقد ساعد اختلاط العرب بالقبائل المدغشقرية بالمصاهرة والزواج، أن نتج عن ذلك الاختلاط قبيلة الأنتامورونا، كما نتج عن اختلاط العرب بسكان ساحل شرق أفريقيا من البانتو ، الشعب السواحلى، إلا أنه يذكر أن قبيلة الأنتامورونا قبل دخولها الإسلام، كانت تعتقد فى إله واحد أزلى أبدي، خالق الكون كله، بيده كل شىء. وفى تلك الأثناء جاء العرب المسلمون إلى الجزيرة، يدعون لدينهم الخالد، دين التوحيد وعبادة. الواحد القهار، ولما كانت

العقيدة الإسلامية مؤيدة لما بين أيديهم فقد أسلمت جميع العائلة، التي كانت بها أصول عربية، قبل وصول تيار الدين الإسلامي إلى جزيرتهم ، بل إنه بالإسلام ازداد هؤلاء القوم سناء ورفعة ورقياً. أما الفترة التي اعتنق فيها الأتنامورويون الدين الإسلامي، فهي غير معلومة تاريخياً، والمعروف أن هذا التحول الجماعي إلى عقيدة الإسلام، لم يلاق معارضة من أحد بالجزيرة، بل تلقى هؤلاء القوم الدين الإسلامي الجديد بالفرح والنشاط ، كما أنهم نشطوا بالدعوة له بين القبائل الوثنية الأخرى المجاورة لهم، سواء كانت في الشمال أم الغرب أم الجنوب .

وهم ينطقون بالحروف والجمل العربية، مثلهم مثل العرب؛ فيقولون مثلاً إن شاء الله مكتوب الله وأن جميع كتاباتهم تبدأ بحمده الحمد لله وحده، ويكتبون بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا يبدأون بأى عمل من الأعمال إلا بعد تلاوة هذه الجملة السابقة (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله) .

وتنطق أيام الأسبوع كلها في جميع أنحاء مدغشقر، وليس بين هذه القبيلة من لا ينطق باللغة العربية مع اختلاف بسيط في النطق فالسبت سبت، والأحد أحد ، والاثنين اثنين، والثلاثاء الثلاثاء ، والأربعاء ربوع ، والخميس خميس ، والجمعة زمة . وهم يحافظون على الصلوات الخميس، ويؤدونها في مواعيدها ، كما أنهم يمتنعون عن أكل الحيوانات النجسة، ويقومون بختان اطفالهم وطهارتهم.

ومن العادات الإسلامية عند فرع من قبيلة الأتنامورونا، وهم الأتتاكارا الذين فيهم بيت الملك، أنهم يقرأون أمام كل عمل صلاة تناسبه؛ فمثلاً إذ أرادوا ذبح حيوان، قالوا اللهم اجعل لحمه صالحاً ولهم عادات. قال أحدهم هذه عادات قديمة جداً عندنا، جاءتنا من مكة. والمدينة، ويقولون للمدينة (مدينازي ، واحيانا) مدينانى ويقولون لمكة والمدينة المدينتين، ويدعى فرع الانكار، الذى به الحكم، أنهم من سلالة الإمام على بن ابي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة. ولقد رضى الله عن السلف الصالح من هذه الامة الإسلامية والرواد الأوائل، الذين حملوا الإسلام والدعوة الإسلامية بقوة الإيمان والإخلاص، الى تلك الجزيرة؛ حيث خرجوا من جزيرتهم العربية من الحرمين الشريفين مكة والمدينة، ومن اليمن وحضرموت، وغيرها من أرجاء الجزيرة العربية، وجابوا وساحوا في البحار يجوبونها؛ حتى وصلوا إلى شرق أفريقيا وموزمبيق وجزر القمر ومدغشقر، ونشروا بها الإسلام، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى اتاهم اليقين؛ فلقد

دخل الإسلام هذه الجزيرة منذ عصوره الذهبية الأولى، في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عصر الخلفاء الراشدين؛ حيث كانت قبيلتا هونفا والانتامورونا الكبيرتين، قد اعتنق أكابر رجالها الإسلام الحنيف، وبقيت مدغشقر بسكانها الذين يربو عددهم - حالياً - على ثمانية ملايين نسمة، وترتع بنعمة الإسلام العظمى، وتعيش على مبادئه، وتؤمن بعقيدة التوحيد الخالص، ويظهر أن بعد الشقة وانقطاع الجزيرة في ذلك المحيط الهندي، وضعف همم المسلمين في عصورهم المتأخرة، وعدم اهتمام كثيرين منهم بإخوانهم المسلمين، في مثل هذه المواطن النائية.. هذه الأسباب وحدها وغيرها قطعت معين الخير وازدياد اندفاع حركة المد الإسلامي عن هذه الجزيرة، فأخذت تتدرج نحو الجهالة بالإسلام، ومن ثم تركه من حيث يدرى القوم أو لا يدرى؛ حيث قل عدد رجال الدين، وانقطع المدد العربي الشرقي الإسلامي، الذي كان يساعد على تعمق المفاهيم الإسلامية .

وفي ذلك المضمار فإنه يمكن القول أن قبيلة الأنتامورونا، عندما اعتنقت الإسلام فقد كان إسلامها صرفاً؛ حيث تابع القادمون شرح وتوضيح الأمور والمسائل الإسلامية، أما في بعض الفترات التاريخية فقد اختلطت بعض العادات والتقاليد الوثنية .

ولقد دخلت في فترة الانحلال والتدهور والانحطاط بعض المفاهيم الخاطئة، فقد بدأ المسلمون المادغاشقريون يعتقدون في المشايخ والأولياء، وجعلوا لها مقامات يذهبون إليها ، كما أن الانتامورونا شأنهم شأن إخوانهم المسلمين من الهونفا لهم كثير من العادات والتقاليد التي تخالف الشريعة الإسلامية، وما جاء في الكتاب والسنة ، وإن كانت هذه الأمور توجد بدرجة أخف عند الانتامورونا؛ بسبب معرفتهم بالخط العربي والقراءة والكتابة العربية، مما شجعهم على قراءة أمهات الكتب العربية والإسلامية ، وقد كان ذلك من أسباب تفوقهم على سائر سكان جزيرة مدغشقر .

ولقد ذكر البحارة «ماركو بولو» الذي مر بالجزيرة عام ١٢٨٠م، في القرن الثالث عشر الميلادي ، السابع الهجري، أن الجزيرة ينتشر فيها الدين الإسلامي، على نطاق واسع، وأنها تخضع لحكم أربعة من المشايخ، كلهم يدينون بالإسلام، وهم جميعاً مسلمون يعبدون الله رب العالمين .

كما ذكر القس المبشر الإنجليزي هوكت Hockett - والذي ساح في الجزيرة إلى الشمال، على طول الساحل فترة طويلة- أنه تقابل مع قوم، يقطنون تلك الأجزاء الشمالية

من العرب يقال لهم (اتيمورون) ، أو (تيمورون) ، والذي لا شك فيه أنهم جالية عربية كبيرة، وأن اسلاف هؤلاء القوم كانوا من العرب الذكور؛ حيث قذف بهم البحر إلى هذا الساحل، وعندهم نسخة من القرآن الكريم مع التفسير، وتراهم يعترفون ويفتخرون بأنسابهم وأصولهم العربية، وتمسكين جدا بكتابتهم الكريم؛ فهم يرجعون إلى كتاب الله في كل أمر من أمورهم؛ أى إنهم يطبقون الشريعة الإسلامية فى كل امر من أمورهم، ويرجعون إليه عندما يشتد عليهم أمر من الامور .

وكما سبق القول فى البداية: فإن جغرافىي العرب كانوا يجعلون على ما يظن جزيرة مدغشقر فى جملة جزر القمر، ويرونها كبرى هذه الجزر، كما أن بعضاً من يطلق على مدغشقر ، جزيرة القمر الكبرى ، كما أن المسلمين الذين يستقرون على الساحل الغربى من مدغشقر، يسمونها الانجازيجية، وأن الحكومة الفرنسية عندما سكت النقود لسلطان جزيرة القمر الكبرى، كتبت عليها عبارة سيد على بن سيد عمر سلطان نجازيجية، حفظه الله تعالى، وتسمى مدغشقر جزيرة القمر عند أهل عمان، كما أن الجغرافيين الأولين يظنون كذلك ، واما باللغة السواحيلية فيقال لها يوكينى، وهى مركبة من يوكى التى معناها غريب ومن «نى» وهى حرف بمعنى فى، أى إنها يطلق عليها فى بلاد الغريب .

وقد تحدث الجغرافى ابن سعيد فى كتابه «المسالك والممالك» عن جزيرة مدغشقر، ولو أنه أدخلها فى جزر القمر، فقال عنها إنها جزيرة طويلة عريضة، طولها مسيرة أربعة أشهر، وعرضها مسيرة عشرين يوماً، ومن مدنها كدينة (ليران) ، وقال إنها هى وماغداشو تحت حكم المسلمين، ولكن أهلها من جميع الأجناس. وقد تحدث دمشقى عند حديثه عن بحر الزنج أنه به جزراً عديدة منها مدغشقر، وهى جزيرة قنبلو، التى فيها الأبنوس ومعادن الذهب ، إضافة إلى ان البرتغاليين كانوا يعرفون مدغشقر باسم جزيرة القمر .

وعندما دخل الاستعمار الفرنسى الجزيرة، كانت الطامة الكبرى على المسلمين هناك؛ إذ دخل المبشرون مع رجال الاستعمار، بل دخلوا كل بيت، واستطاعوا بعد جهود طالت عشرات السنين أن يدخلوا مليونين من السكان فى الكاثوليكية كما يوجد نصف مليون بروتستانت ، اما المسلمون بقى منهم على الدين الصحيح، قرابة ثلاثة ملايين نسمة، وهناك قبائل كبيرة يطلقون عليهم الصقالبة، وآخرون يطلقون عليهم الفلانة ، ولا تزال هذه القبائل تختن أولادها على الطريقة الإسلامية، كما أنهم يدفنون موتاهم حسب الطريقة الإسلامية، ولا يأكلون لحم الخنزير، وأسماء الشهور عندهم كلها عربية، وأزياء نسائهم أزياء اسلامية، وكان هناك مسجد بقرب قصر الملكة بتناناريف، حوله الاستعمار الفرنسى والعياذ بالله إلى

كنيسة، علاوة على هذا؛ فقد بنى المبشرون فى العاصمة وحدها مائة وخمسين كنيسة للكاثوليك، وسبعين كنيسة للبروتستانت .

أما المسلمون فبقى لهم فى تناناريف العاصمة، إحد عشر مسجد، أكثرها بنى حديثاً، والمسلمون سنيون شافعية، وإن كان يوجد بينهم بعض الشيعة، وحركة بناء المساجد قائمة فى أوساطهم بنشاط ملحوظ .

وعندما نقل سلطان عمان، سعيد بن سلطان، مقر حكمه إلى زنجبار فى شرق أفريقيا، فإنه أخذ يرنو ببصره إلى جزيرة مدغشقر، وعمل على ضمها إلى ممتلكاته فى شرق القارة، بعد أن كانت تلك الممتلكات قد امتدت، حتى بلغت حدود الحبشة الجنوبية، وجنوباً فى موزمبيق، وهكذا ضمت إليه مدغشقر عام ١٨٣٣م، عندما تزوج من ملكتها، والتي قامت بفتح الطرق التجارية أمام العرب، مما ساعد على انتشار الإسلام فى أرجاء الجزيرة، بل إنها دفعت له ثلاثين ألف ريال سنوياً . ومن ثم أخذ اهالى زنجبار يستقرون فى هذه الجزيرة، فى الوقت الذى أخذ فيه النفوذ الإسلامى يمتد إلى الجنوب .

وفى عام ١٥٢٩م كان اسم مدغشقر قد صار معروفاً لدى الغربيين؛ لاسيما أنهم أشاروا فى كتاباتهم إلى العرب المورو، الذين سيطروا على بعض أجزاء الجزيرة؛ حيث إنه فى عام ١٥٠٦م ثار مورو الجزيرة على البرتغاليين، وكان قد وصل إليها البرتغاليون فى العام نفسه؛ حيث رسا بأسطوله القبطان البرتغالى ترستيان داكوتيا، فى أحد الموانئ التى يسكنها المسلمون العرب المورو؛ حيث ثاروا عليه، وعلى البرتغاليين، وحاولوا منعهم من دخول الميناء، زاعمين أنهم يعارضونهم فى دخول ديار إسلامية، بعد أن شاهدوا سفنهم ترفع الصليب فوق الصوارى. وحقيقة الأمر أن هذه الثورة كان هدفها بعد ذلك إخراج المسيحيين من الجزيرة، والذين كانوا يضرعون أشد العداوة للإسلام ، لكن حاكم موزمبيق أرسل بارجة حربية، معلناً الحرب على شعب المورو المسلم، فيما لو استمر المورو فى المعارضة ، ولكن بعد ضرب بلادهم بالمدافع، مال المورو إلى السلم، ولكن البرتغاليين لم يأمنوا شرهم ولم ينزلوا إلى البر، ولكن بعد ذلك وردت سفينة كبيرة من مكة المكرمة، فيها بعض من المورو، فلما علموا بما حدث لإخوانهم انتقموا من الراهب، بعد أن رفض إعلان إسلامه ، بل أخذ يدعو القادمين من مكة المكرمة إلى ترك الإسلام، واعتناق المسيحية، لكن انتهى خبره بعد فترة ، إلا أن البرتغاليين انتقموا لما حدث، وخرّبوا ديار المورو ورجعوا إلى موزمبيق ، ثم جاءت سفن أخرى من مكة ومن ثم تعزز الوجود الإسلامى .

وقد اتفق المؤرخون على أن مدينة ماتانان هى المدينة الأولى فى شمال غرب مدغشقر،

التي نزلتها الجالية العربية، التي استقرت بها، ومن ثم فإنها اتسعت حتى صارت عاصمة القبائل المدغشقرية التي اتبعت الإسلام، واهتدت بنور القرآن، ولانزال تلك المدينة حتى الوقت الحاضر هي العاصمة السياسية والأدبية والدينية للمسلمين المدغشقرين في الساحل الشمالي الشرقي من الجزيرة، وبها يقيم أشهر الفقهاء ورجال الدين والدعوة والقضاة ورجال العلم والفكر والمعرفة؛ بحيث يمكن القول إنها كعبة العلم، ومقصد الفكر، وركن الدين، ومنارة الحضارة الإسلامية لشعب الانتامورو.

وكما سبق القول فإن الرحالة الشهير ماركو بولو الإيطالي البندقى، كان قد أشار إلى انتشار الإسلام في أنحاء مدغشقر، وذلك في أواسط القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى؛ حيث تحدث عن قبائل الانتامورو المسلمين، كما أشار بعض المؤرخين والرحالة الغربيين ومنهم جوشى، فراشو، عند زيارتهم للجزيرة عن المسلمين في الجزيرة، فقال عنهم ان الدين الإسلامى يدين به أهالى وسكان سواحل الجزيرة، وكذلك السواحل المواجهة لمدغشقر وأن الدين الإسلامى لا شك أنه وصل إلى الجزيرة من هذه السواحل الغربية، كما أشار إلى الأهالى أنهم يختنون أولادهم (الطهارة)، ولا يشتغلون يوم الجمعة وقت الصلاة، ولا يأكلون لحم الخنزير والحيوانات النجس، وكذلك أهالى جزر القمر الغربية منهم، أكثرهم من العرب والفرس، وجميعهم يدينون بالإسلام، ويتبعون نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ويكتبون كتاباتهم باللغة العربية؛ حيث هى اللغة الرسمية فى الجزيرة، ولا يأكلون الحيوانات إلا ما كان مذبوحا، ويتلى عليه اسم الله، لا يقومون للصلاة إلا بعد الاغتسال (الوضوء)، بل إن اللغة العربية معروفة عندهم، منذ القرن الثالث عشر الميلادى .

وقد أشار بعض الأوربيين دومانداة، الذى زار مدغشقر فى القرن الثامن عشر الميلادى، وقد أضاف فى حديثه عن المسلمين فى الجزيرة، بأنه توجد أدلة قاطعة بأن جالية عربية وصلت إلى مدغشقر فى اوائل القرن السادس الميلادى، كما قال ان الرهانديوان أصلهم عرب، جاءوا إلى الجزيرة منذ مائتين وخمسين سنة وعندهم معرفة بالكتابة، ويستعملون الحروف العربية، وكلنه اضاف بأن الجزيرة كلها لا تعرف اللغة العربية، ولا تدين بالدين الإسلامى، وأن الإسلام والعروبة منتشرة فى الجزء الشمالى الغربى، وأضاف أن العرب أسوا ممالك عظيمة على ساحل أفريقيا المقابل لمدغشقر، ثم استولوا على جزر القمر، وأنهم يتاجرون مع عمان ومسقط وعدن وحضرموت وسواحل اليمن والخليج العربى، وأن سفن هذه البلاد تتاجر وتردد إلى مدغشقر، وأن سكان الجزء الشمالى الغربى توجد لديهم

ثم يضيف المؤرخ الرحالة نفسه أن القبائل المسلمة أيضاً في الجزيرة، في الجنوب الشرقي منها، تزعم أنها سلالة قوم من العرب الأشراف المسلمين من أهل مكة المكرمة، الذين هاجروا إلى مدغشقر، وهذه الرواية والانتساب إلى العرب، أو الاسر الشريفة كالعلوبيين والهاشميين والعباسيين والقرشيين ظاهرة معروفة في عديد من قبائل أفريقيا، فقد ادعى الفولاني في غرب أفريقيا أيضاً أنهم قدموا من مكة المكرمة ، بل ان قبائل مدغشقر- زيادة في ربط الصلة القرشية، مع قدم اعتناقهم للإسلام- يزعمون أنهم قد أسلموا في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن دعوة الانتساب إلى آل البيت فاشية ومنتشرة عند مسلمي السواحل الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية من مدغشقر، وتوجد في مدغشقر خمس قبائل باقية حتى وقتنا إلى حد ذكر أنهم أبناء الذين هاجروا إلى مدغشقر من مكة المكرمة، والقوم يعتقدون في هذه الروايات وصحتها، ويتمسكون بها، وأنها ليست خرافة، ولكن حقيقة كما يزعمون، بل أنهم يذكرون أن راميا الذي هو عبد الرحمن قد هاجر هو وزوجته من مكة إلى مدغشقر، على اثر المظالم، التي وقعت على آل البيت، وأن هذا الرجل كان صهراً للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إن هناك روايات أخرى تذكر أن بعض القبائل التي لازالت تتمسك بالإسلام حتى الوقت الحاضر، منها: الاو نجاشي ، والاناكارا، الزافيكار وبميامبو، والزاتيماتو يقولون إن أجدادهم راققوا رامينا (عبد الرحمن) جد الانتاميا هواكا، في هجرته من مكة المكرمة، وهذه القبائل تميل بشرتها إلى الحمرة، وشعورهم طويلة، وأنهم أهل شجاعة وبصائر بالحرب .

وتقول بعض روايات المسلمين من الأتامورو أن الذين هاجروا من مكة إلى مدغشقر، كانوا خمسة أمراء وأنهم: راما كارارو ، دراجوزوفا إنديريما روهالا ، دراليفوازيرو ، وانديريابنوا، ويريبه، وأن هؤلاء اضطروا إلى الفرار بسبب ثورة، أسقطت الأول عن عرشه، وثلاثة من هذه الأسماء عربية، وهي دراجوزوفا، وهي محرفة عن الأصل العربي يوسف دراليفرازيرو، وأنها محرفة عن علي الوزير ، وانديريابنوا وهي اندريانا باللغة المدغشقرية، تعنى الأمير، ثم الوزير، ثم الأمير الصدر الأعظم .

وهناك أقوال تذكر أن هؤلاء القوم قد ذكروا أنهم يزعمون أن أصولهم القديمة من مكة وفي ماينجال، وأنهم جاءوا من الهند، بعد ان كان أسلافهم قد قدموا من مكة المكرمة، ووطنوا شاطئ الجزيرة الشمالي، ثم انتشروا إلى الجنوب، وكانوا يذكرون أصولهم إلى أهالي الجزيرة، وينسبون أصولهم العرقية إلى عرب قريش، ومنها ما عرفوا إلى ١٧ سبع عشرة بطناً، ومنها إلى أربع عشرة بطناً، وهم موروا وسوليماء، وهم مسلمو الساحل الغربي من مدغشقر،

فإنه يقال لهم أيضاً سوليماء، وأغلب الظن أنها محرفة من إسلام، وعندهم القرآن الكريم مكتوباً باللغة العربية، ولهم فقهاء ومشايخ وعلماء يعلمونهم القراءة والكتابة، وهم يصومون رمضان، ويحجون إلى بيت الله الحرام، ويوزرون الأماكن المقدسة في الحجاز، كما أنهم يؤدون الزكاة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ويختنون أولادهم، ومنهم من يتزوج بأكثر من واحدة، وألوانهم كاللون مسلمي الهند والجاوى، وأنهم يحافظون على عقيدتهم وأصولهم، ويحفظون أنسابهم مع عدم وجود صلات قوية وثيقة مع سائر بلاد المسلمين إلا فيما ندر .

كما أن هناك رؤية أخرى أنه توجد في مدغشقر طبقة أخرى من البيض، واستقر الرأي على أنهم أرسلوا من مكة المكرمة لأجل هداية أهل مدغشقر إلى الإسلام، فاستولى هؤلاء على مدينة ناتانا، ومهنتهم تعليم اللغة العربية، ويقال لهم زافى كازيمامبو، ولا يستبعد أن يكون مع بداية الدعوة الإسلامية قد ذهب قوم من أهل مكة أنفسهم؛ للدعوة لله في أرضه الواسعة؛ فاختاروا مدغشقر داراً للهجرة والدعوة ، وعلى هذا فإن الإسلام قد وصل إلى مدغشقر في القرن الأول الهجرى، وإن كانت هناك أقوال تذكر أن الإسلام وصل واستقر، ورسخت أقدامه في الجزيرة منذ عشرة قرون؛ أى إن القرن الرابع الهجرى قد شهد بدءاً جديداً في انتشار الإسلام في الجزيرة ، صحيح أنه لا يوجد أدنى شك أن الإسلام قد وصل إلى مدغشقر في القرن الأول الهجرى، ولكن دعائمه لم تتولد إلا منذ القرن الرابع؛ حيث وجدت هناك رعية إسلامية كبيرة، يمكن أن يطلق عليه مجمع إسلامى فى تلك الجزيرة .

ويتحدث المؤرخون عن انتشار الإسلام فى الساحل الغربى من مدغشقر، وعن وجود المسلمين فى تلك الأرجاء، فنجدهم يذكرون أنهم خمس فرق فى مدغشقر ، وهم الذين يسكنون فى أعالى رأس القبر من شرقه إلى غربيه، وهم قبيلة الأتكانكارانا، وهى تعتبر أكبر القبائل عدداً، وأهلها متمسكون بالتعاليم الإسلامية، وسيرون على النهج الإسلامى، ويعملون فى مجال الدعوة بين غيرهم وإخوانهم من المسلمين، وكذلك توجد قبيلة الأيوانا، والذين يتخذون من مدينة موجانجا عاصمة لهم؛ حيث يتمركزون حولها، وكذلك قبيلة الساكالافا، وهم أصحاب بلاد الأبونجو والذين من رؤوسائهم الملكة (بارة رافون)، التى تزوجها السلطان سعيد بن سلطان، سلطان زنجبار؛ عام ١٨٢٣م وهى صاحبة خليج (ماراميسى) وتصل إليهم سفن الهند ومسقط وزنجبار حيث تكثر هذه السفن فى التردد إلى الساحل الغربى .

وعلى هذا تبقى حقيقة علمية مهمة وتاريخية، هى أن هناك قوماً من بنى أمية، قد وصلوا إلى جزيرة قنبلو عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م، عند سقوط دولتهم، وأنهم فتحوا هذه

الجزيرة، فلا بد لهم أن يكون فاتحو هذه الجزيرة قد وصلوا إلى مدغشقر؛ نظراً لقربها من جزر القمر، وعلى هذا يكون الإسلام قد وصل إلى تلك الأرجاء فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، الثامن الميلادى .

وهكذا يكون قد مضى على الوجود العربى الإسلامى بالجزيرة أحد عشر قرناً من الزمان، وهم يعملون ويجاهدون فى سبيل نشر عقيدتهم، والعمل على التمكين لها فى الجزيرة؛ بالإضافة إلى قيامهم بالأعمال التجارية، وربط الصلات الروحية والاقتصادية والثقافية مع إخوانهم فى البلاد العربية، ومن ثم، فإنهم قد وصلوا إلى المكانة الرفيعة فى جزيرة مدغشقر بفضل الدور، الذى لعبوه فى نشر الدعوة، وحركة نشر الثقافة العربية الإسلامية، ونشر اللغة العربية، وتعليم الأبناء اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، والقيام بالأعمال التجارية بين أنحاء الجزيرة وجزر القمر والساحل الأفريقى الشرقى .

وقد لعبت شعوب الساكالافا دوراً لا يقل عن دور إخوانهم فى الإسلام (الأنتامورو) ، فنراهم يحفظون الشهاداتتين: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقرأون القرآن الكريم، ولكنهم غير متمكنين من اللغة العربية، وغير ضليعين فيها مثل إخوانهم الأنتامورو، إلا أنه مع كل هذا فإنه توجد فى بعض مدن الساكالافا مثل مدينة موجونجا، الجوامع الكبيرة والمدارس الإسلامية، التى لعبت دوراً لا يقل عن غيرها من المدارس الإسلامية العربية، فى إثراء الحركة الثقافية والفكرية والحضارية فى تلك المدينة، وغيرها من المدن الغربية والقبرى المحيطة، وتقام الصلاة خمس مرات يومياً، والآذان عندهم مسموعاً ، وتقام مبانيهم على الساحل من الحجارة، وهى لا تقل جمالاً وروعة وهندسة وتنظيماً عن غيرها من المدن العربية الإسلامية، المطلة على ساحل البحر الأحمر، وساحل المحيط الهندى، وكذلك يوجد بعض الهنود الذين هم على المذهب السنى، والبعض الآخر على المذهب الشيعى، الذين يؤدون الصلاة فى مسجد الشيعة ، ولست أعرف سبباً لماذا يقال مسجد السنة والشيعة؛ ذلك لأن المساجد لله، والإسلام لا يعرف المذاهب لا سنة ولا شيعة، ولكن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كذلك يوجد فى تلك المناطق الغربية، والذين ساعدوا على نشر الإسلام فى تلك الأنحاء بصورة أكثر فعالية، وهم بعض المسلمين من عمان وزنجبار وأهل جزر القمر، الذين يأتون للدعوة لدين الله الخالد، والقيام ببعض الأعمال التجارية ، والأولاد يذهبون إلى المدارس؛ لدراسة علوم الدين الإسلامى واللغة العربية، وجميعهم أبناء المسلمين، الذين يعملون على نشر الإسلام، وتعميق مفاهيمه فى نفوس أبنائهم الصغار وعقولهم .

ويتشر العرب في بعض القرى مثل انلاموني ، سوالالا ، بالي ، وهي القرى التي يأتي إليها الباتو المسلمون (السواحلية) .

وقد وصف بعض رجال الدين المسيحي من رجال الكاهنوت قبائل الساحل الغربي بالتمصب الإسلامي، ولكن هذا لم يكن صحيحا؛ ذلك لأنهم كانوا يحافظون على عقيدتهم الإسلامية في مواجهة الخطر الصليبي، الزاحف إليهم؛ لمحاولة الانقضاء على عقيدتهم الغراء، وقد يقصد المؤرخون بعض القبائل الوثنية، أما القبائل الإسلامية الأخرى مثل الأتامورو، الانتامباواكا، فقد تلطفت طباعهم كثيرا، وهذب الإسلام مشاعرهم وطرق تعاملهم، ومن هنا كان الرجل الأوروبي المتعصب للمسيحية يسافر بين بلادهم وقراهم دون وجل، ولقد أحسن المسلمون معاملة الرجل الأوروبي، بمكس الوثني الذي كان يحاول الاعتداء عليهم، وللحقيقة: فإن قبائل الساكالافا للمسلمة كانوا يكرهون الغرب الأبيض؛ ذلك لأن كل جاسوس لا بد أن يكون أبيض، وكانوا يظنون أن الرجل الأبيض إنما هو جاسوس مملكة تناناريف، التي كانت تكره كل الكره استغلال قبائل الساحل الغربي المسلمة، وقد تكون هذه الكراهية مبعثها الرجل الأوروبي نفسه؛ ذلك لأن البرتغاليين منذ القرن السادس عشر وقعت بينهم وبين الساكالافا حروب؛ حيث كان البرتغاليون يقومون بغزوهم من موزمبيق، ومن هنا نجد بعض المراكز الإسلامية في مدغشقر، مثل: ماتيرانو عاصمة إقليم ميتاب، كان أهلها يكرهون الأوروبيين؛ لما تعرضوا له من اعتداء على أيدي البرتغاليين، ومن هنا فإن الإسلام والمسلمين لم يعرفوا الكراهية والبغضاء مثلما يعرفها الرجل الأوروبي .

ولقد كان الوجود الإسلامي العربي مكثفاً في الجزء الغربي من الجزيرة؛ حيث كانت أعدادهم تزد من زنجبار وجزر القمر، وصفرة القول إن مسلمي الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة قد اختلفوا وتخالطوا مع الأوروبيين، وأصبحوا لا ينفرون منهم بخلاف أهالي الساحل الغربي، فهم الذين منهم الساكالافا والانتيوواتا المسلمون والنياب، أما المازيكورو فإنهم كانوا يكرهون الأوروبيين نظراً لبشاعة الأعمال، التي كانوا يقومون بها، ومحاولة التبشير بالمسيحية والإنجيل بينهم، ودعوتهم إلى ترك عقيدة الإسلام الخالدة .

ولقد كانت أعمال القسس والرهبان وبناء الكنائس هي التي خلقت العداء مع الأوروبيين، فإن الإسلام والمسلمين يعرفون التسامح، ولكن عند الاعتداء وعلى القرآن والعلماء والمساجد ومحاولة الطعن في رسول الإسلام.. فإن المسلم في تلك الحالة لا يعرف التسامح، وهو يرى قرآنه الكريم يحرف، ولا بد من الدفاع عن المقدسات الإسلامية، وهذا ما حدث مع

الأوروبيين فى الساحل الغربى، ولقد بسط الإسلام لواءه فى أجزاء عديدة من الجزيرة، ولقد ساعد على ذلك تلك الصورة المستمرة والدافعة للحركة الإسلامية، والتى كان يدفعها مسلمو عمان وصور ومسقط والمكلا وحضرموت وزنجبار، وأهل جزر القمر الأربع، وإن كان عددهم قليلاً؛ حيث إنهم يجيئون ويرجعون، ولكنهم كانوا يتركون بصماتهم القومية والواضحة فى كل ركن من أركان الجزيرة، بل إن أكثر الذين كانوا يهاجرون إلى الجزيرة من المسلمين هم المسلمون البانتو (السواحيلية)، الذين كانوا يهاجرون من زنجبار وجزر القمر، فهؤلاء كانوا يظهرون بمظهر عظيم من الإصلاح والصلاح والتقوى والإيمان، يلزمون المساجد، يدعون إخوانهم للإسلام ودراسة العلوم الإسلامية، وشرح المفاهيم الأخرى المتعلقة بالدين، كما أنهم - كما ذكر الأوروبيون - كانوا يحملون المسايح، ويكحلون عيونهم، ويخضبون أيديهم وأرجلهم بالحناء، ويلبسون الملابس الواسعة، ويطوفون فى الأسواق، ويحثون الناس على العبادات، ويذكرونهم بالشواب والعقاب والجنة والنار، وأخيراً تصير لهم الكلمة العليا عند قبائل الساكالافا، الذين يأخذون منهم التعاويذ والتماثيم. وسبب معرفتهم بالقراءة والكتابة والعلوم الإسلامية والفقه والتفسير... أنهم يتفوقون على باقى أبناء مدغشقر، بل إنهم يتزوجون بنات زعماء البلاد، وأحياناً بالملكات اللاتى يحكمن أجزاء من الجزيرة، ومن ثم تصير لهم الكلمة النافذة فى البلاد، ويأخذون من العوائد والمكوس، وأحياناً يعير منهم الوزراء عن الملوك وسلاطين الساكالافا، وأهل الرأى والمشورة فى البلاد، وذلك يؤدى إلى انتشار الإسلام على نطاق واسع .

ولهذا.. فإن الإسلام قد رسخت دعائمه، وتوطدت أركانه منذ أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، فى تلك الديار، ولا يزال سكان جزر القمر والزنجباريون يذهبون إلى مدغشقر، يدعون للإسلام، ويعلمون المدغشقرين عقائدهم الإسلامية، إلا أنه مع كل تلك الجهود التى يقوم بها أهل عمان وصور ومسقط والمكلا وحضرموت والقمريون والزنجباريون، إلا أنه لازالت هناك بعض التأثيرات غير الإسلامية، التى لا زالت عالقة بمقول بعض أفراد الشعب، فإننا إذا نظرنا إلى قبائل مثل قبائل الساكالافا والانتامورو والانتامبا هوكا، نجد أنهم قد تقبلوا الإسلام دون ان يتعمقوا فى دراسة مفاهيمه الخالصة النقية، كما لازالت بعض الافكار الوثنية عالقة بهم، وكذلك لا توجد كثرة من المساجد والجوامع، وإن كانت توجد بعض المساجد فى موجانجا وماتيرانو، والتى بناها العرب والسواحيليون والهنود .

كذلك فإن رجال الدعوة الإسلامية يبذلون جهوداً مكثفة، منذ عدة قرون لهداية

القبائل الكثيرة المنتشرة فى الجنوب الشرقى والشمال الغربى، وغيرها من الأنحاء، وكذلك فى الجنوب والجنوب الغربى والجنوب الشرقى ، بحيث إنه يمكن القول أن رجال الدعوة الإسلامية لم يتركوا شبراً واحداً فى الجزيرة إلا وحملوا فيه لواء الدعوة الإسلامية، ينشرونها بين الاقوام .

ولكن منذ عام ١٨٢٠م شهدت جزيرة مدغشقر جهوداً مكثفة من عمل جماعات التبشير، الذين وصلوا إليها من كل مكان فى أوروبا، من الجزويت وجمعية لندن التبشيرية وأخوات العقيدة المسيحية ، وراهبات ماريوسف، وراهبات التبشير بالإنجيل، والمبشرين النورنجيين، والأمريكيين واليعازريين الفرنسيين ، وبشروا البروتستانت الفرنسيين ، كل هذه الجمعيات أرسلت جيوشاً من الرهبان والقساوسة والراهبات؛ للتبشير بين المدغشقرين. وكما سبق القول، حققوا أكبر نجاح لهم، إذ يوجد أكثر من اثنين مليون من الكاثوليك، ونصف مليون من البروتستانت، نجح هؤلاء المبشرون فى تنصيرهم وتحويلهم إلى المسيحية .

لكن بقيت بقية من المسلمين، يحافظون على دينهم الإسلامى الصحيح، ويقدر عددهم بقرابة مليونين ونصف من السكان، هؤلاء يعملون بأوامر القرآن الكريم ونواهيهِ، ويتمسكون بكل ما جاء فى الكتاب والسنة ، كما أنهم يؤدون الصلاة والزكاة والحج والصوم والفقهِ ، وإن كان بعضاً منهم لا يعرفون من الإسلام سوى الاسم .

وخلاصة القول الذى اهتدى اليه هؤلاء، الذين جابوا الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها إن الإسلام دخل إلى السواحل الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية، من مدغشقر على أيدي العرب أو المسلمين المتكلمين باللغة العربية؛ مما يستدل على أن الكلمات العربية كثيرة ومنتشرة فى اللغة الملجاشية، ويوجد بكثرة فى لغة مدغشقر ، فلا شك أن العرب كانوا فى الساحل الشرقى من أفريقيا الشرقية منذ القرن السابع الميلادى ، ونشروا دعوة الإسلام فى بحر الزنج منذ القرن الثامن الميلادى، فجزيرة قنبلو التى فتحها المسلمون الأمويون عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م، ليست إلا على مسيرة ستين ميلاً من جزيرة مايوت ، وثلاثمائة وخمسين ميلاً من خليج يومياتوك، فى مدغشقر، وهى جزيرة أنجوان الحالية، أى ان العرب نزلوا فى موجانجا ووصلوا إلى ماتانا .

وإن كنا نرى أن العرب قد تكشف وجودهم ووصولهم إلى الجزيرة، منذ القرن الثانى أو الثالث الهجرى، وأن تلك الحكايات التى يروونها عن مسلمى مدغشقر، وأصلهم من مكة المكرمة، هى فى مجملها الاعتزاز بالأصل العربى، ولكن لم يفهم أن يجعلوا أنفسهم عرباً،

ولكنهم أضافوا إلى أنفسهم نسباً قريشياً شريفاً، بل انهم من آل البيت، على أنه لا يوجد مانع من أن يكون هناك أفراد من قريش، وصلوا إلى مدغشقر، كما سبق القول، وربما يكونوا من الطالبين، أحفاد علي بن ابي طالب، حيث شهد عصر الخلافة العباسية اضطهاد للطالبين، دون غيرهم من أبناء قريش، لاسيما فى العصر الأموى، وذلك يكون دافعاً على هجرة مبكرة، فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى .

اما ما يقال عن سر تخلف المسلمين فى جزيرة مدغشقر، وبقاء بعض العادات والتقاليد الوثنية عالقة فى نفوسهم وتصرفاتهم.. فإن ذلك قد يكون بسبب بعد الشقة والمسافة بينهم، وبين بقية أنحاء العالم الإسلامى، وقد تكون بسبب الظروف التى أملت بالعالم الإسلامى من جراء غزو المغول والتار وهجوم الصليبيين ، كما يعود إلى دور مسلمى مدغشقر أنفسهم فى التقصير فى الدعوة الإسلامية، وذلك شأنهم شأن غيرهم من المسلمين، فى سائر الاقطار الإسلامية .

ولو أن ذلك لا ينفى وجود مدارس وكتاتيب وطرق صوفية منتشرة، تمارس دورها فى إرساء دعائم الإسلام، ولكن كل ذلك لم يكن بالصورة المثلى والقوية والأرسخ؛ مما سهل لرجال التبشير أن ينشطوا فى دعوتهم للمسيحية بين أبناء الجزيرة؛ حتى تمكنوا من تنصير تلك الأعداد الهائلة المشار إليها .

إن عدد سكان مدغشقر يزيد عن ثمانية مليون نسمة، يوجد منهم ٢,٥ مليون مسلم ، ٢ مليون كاثوليكى، ونصف مليون بروتستانتى، ومن هنا فإنه لازالت هناك ثلاثة ملايين، يعيشون على الوثنية، بل إنهم يدينون بديانة يطلقون عليها (انديامتيران أو زاناهدى)، ومعناها الخالق الواحد أو الله منبع الحياة، وعلى هذا فإنه من الممكن دعوة هذه الملايين إلى الإسلام، بل إن الإسلام من الممكن أن يغطى كل الجزيرة، لو أن هناك خطة اسلامية موضوعية وعلمية، تعمل على إرسال الدعاة والوعاظ والكتب، ومنح المنح الدراسية فى الجامعات العربية والإسلامية لأكبر عدد من أبناء الجزيرة، وتعليمهم فى المعاهد الإسلامية والجامعات أيضاً، ثم إرسالهم إلى بلادهم؛ لكى يقع عليهم عبء القيام بنشر الدعوة الإسلامية، ودعوة القوم إلى أصولهم الإسلامية الأولى .

إن تعميق المفاهيم الإسلامية ونشر اللغة العربية لغة مدغشقر الأولى، هو الطريق الى بذور الإسلام فى تربة مدغشقر؛ لكى تؤتى ثمارها المرجوة؛ حيث إن هناك بعض المدارس

والمعاهد العربية الإسلامية، التي تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وأنهم يعملون على نشر دين الله والإسلام، ونشر لغة القرآن الكريم، والتي عمل المستعمر على مطاردة اللغة العربية، وحرمها على أهلها، وحاصر الإسلام حتى كاد أن يقضى على كل أثر للإسلام، ولكنه دين الله الخالد جاء ليبقى « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » لا لكى ينسخ كل ما قبله من معتقدات، ولكن لكى يعود إلى الإسلام قوته واصالته فى الجزيرة، فلا بد من عمل علمى وموضوعى؛ لكى نشد أزر أخوة الإسلام، الذين يعيشون فى هذه الجزيرة .

لا شك أن هناك عملاً إسلامياً، ونشاطاً تقوم به الجماعات والجمعيات الإسلامية فى مدغشقر، لا سيما من الجالية اليمنية، والجالية القمرية، والتنازنية، والذين يبذلون جهوداً مكثفة فى سبيل نشر الإسلام، وانشاء المدارس التى تقوم بتعليم الأبناء اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، وهى مقامة فى المساجد نفسها ، ومن هنا فإن الواجب الإسلامى يقتضى تجاه إخوة العقيدة الإسلامية أن نأخذ بأيديهم؛ حتى يقفوا على حقائق العلوم وحقائق الاسلام التى جعلت العلم جزءاً من حياة المسلم .

وهكذا كانت قصة انتشار الإسلام والعروبة فى مدغشقر؛ حيث دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجرى، والتى كانت علامة من علامات المد الإسلامى إلى شرق القارة الإسلامية، وكيف عمل الإسلام على نشر حضارته وثقافته العربية الإسلامية فى هذه البقاع، التى أخذت بيد شعوبها إليها... إلى الإسلام والهداية والإيمان .

* * *

الفصل الثاني

انتشار الإسلام في جزر القمر

لقد كان اول من اطلق اسم القمر على هذه الجزر، هم العرب الأولون، حيث تكون القمر، بضم القاف وسكون الميم، وقد تحرك الميم فتنطق قمراً، ومنها قول الأجانب الأوربيين قومور، وقد ذكر المسعودى فى كتابه «مروج الذهب»، أن جزيرة أنجوان أو قباليو قد فتحت عام ٨٢٤م، على أيدي عرب الأزدي من الاباضيين العمانيين، وهناك أقوال تذكر أن ذلك الفتح قد تم فى عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م، وإن كانت المصادر الأوروبية تحاول أن تقلل من البعد الزمنى للانتشار الإسلامى فى تلك البقاع، ومن ذلك نجدهم يذكرون أن تاريخ الفتح العربى الإسلامى لهذه الجزيرة غير معلوم، وإنما كل ما يعرف أو الثابت تاريخياً أن رجلاً عربياً امتاز بالبطولة والكفاءة والشجاعة والإقدام قد وصل إلى تلك الجزيرة، ومن ثم جعل نفسه سلطاناً على جزيرة القمر الكبرى بسلطة واسعة، والذى لا شك فيه أن أحفاد هذا الرجل، هم الذين اشتبكوا فى حروب طويلة مع البرتغاليين، عندما قدموا إلى تلك الديار، ثم وقد بعد ذلك قوم فارين من شيراز المعجم، نزلت تلك الجالية الفارسية على سواحل بر الزنج (شرق أفريقيا)، وكان إن وصل إلى جزر القمر، زعيم لهم اسمه محمد بن عيسى، فاستولى على جزيرة القمر الكبرى، وعلى جزيرتى هنجوان ومحلى، وجعل فيها أبنية ملكيتين. وجزر القمر هذه أربع جزر تقع فى الجنوب الشرقى للقارة الأفريقية، وهى كالأعلام الإسلامية الهادية فى المحيط الهندى، وكبرى هذه الجزر (جزيرة مرونى)، وفيها العاصمة، وتسمى مرونى أيضاً، وطول هذه الجزيرة مائة وستة وثمانية كيلو متر، يزيد وعرضها عن خمسة وعشرين كيلو متراً، يتوسطها جبل شامخ فى العلو، يزيد ارتفاعه عن سبعة آلاف قدم، وعلى سفوحه الممتدة إلى المحيط التى تتلاطم حولها الأمواج، تقع المدن والقرى والمزارع الجميلة، والجبل ممتد على طول الجزيرة. وفى اعلى قمة فيه بركان نارى كبير، دائم الاشتعال وألسنة اللهب تتصاعد فى وسطه، ولكنها لاترى فى المدينة.

وسكان الجزيرة كلهم مسلمون؛ حيث يشكل الإسلام ٩٧% فى المائة، والمذهب الشافعى هو المذهب السائد فى هذه الجزر، ويسكن الجزر الأربعة أكثر من نصف مليون نسمة، واللغة العربية منتشرة بينهم ويعرفها كثير من السكان.

ولقد كانت جزيرة مايوت أو مروني تابعة في بعض العصور التاريخية لأمرء جزيرة انجوان، بحسب قول هؤلاء، ولكن سكان الجزيرة لم يكونوا يذكرون اسم أمير جزيرة انجوان في خطبة الجمعة، إلا في بعض الفترات؛ مما يجعل التبعية اسمية، وليست لها صفة الدوام والاستمرار. ولكن لما آل امر السلطنة في القرن الثامن عشر الميلادي إلى السلطان أحمد الذي ملك كبرى جزر القمر في الفترة (١٧٦٠ - ١٧٨٥ م)، فإن سكان جزيرة مدغشقر من قبائل الساكالافا قد أكثرت من الغارة على هذه الجزيرة، وكذلك أدت تلك الغارات إلى كثرة الفتن الداخلية والحروب الأهلية؛ مما زرع ملك سلطان انجوان، فاضطرب حبل الأمن فيها ولم تعد الأمور مستقرة، أو تساعد على انتشار رجال الدعوة الإسلامية؛ للقيام بواجبهم الإسلامي .

وكان السلطان أحمد هذا الذي يسيطر على جزيرة مايوت، ينتمي إلى عائلة وأسرة عمانية عريقة، أقامت في بلدة تشيخوني؛ حيث كانت تلك المدينة حاضره جزيرة انجوان القديمة، وكانت تلك الأسرة العمانية الأصل التي تحكم انجوان، أسرة ذات ثروة طائلة، وذلك بسبب قيامها بالأعمال التجارية والاتصالات الاقتصادية، مع عديد من بلدان العالم الإسلامي والهند، وقد ساعدت تلك الثروة الطائلة وحسن الإسلام والعمل في وجوه الخير والبر، وبناء المساجد، والقيام بالواجب الإسلامي نحو نشر الثقافة العربية، مما يساعد على أن يقوم أحد أفراد هذه الأسرة العمانية، وكان يدعى صالح بن محمد بن بشير المنظاري العماني؛ حيث كان واسع الثروة والجاه بأن تزوج ابنة سلطان جزيرة مايوت، والذي كان عربيا عمانيا.

وعندما توفي سلطان مايوت عام ١٧٩٠ م . فإن صهره وزوج ابنته صالح بن محمد بن بشير آل إليه حكم الجزيرة، وأنه اضطرت إلى المذهب الأباضي، الذي هو احد فروع مذهب الخوارج، الاباضية، الصفرية، الأزارقة وغيرها من فروع الخوارج، وهو المذهب الذي كان عليه اهل عمان، واتخذ مذهب السنة والجماعة منهجاً له؛ حيث اتخذ مذهب الامام الشافعي أحد المذهب الأربعة السنية منهجاً له، وهو المذهب الذي كان يسير عليه أهل جزر القمر.

وقد كان أهل جزر القمر قد جاءوا من ساحل البحر الأحمر الغربي، ثم جاء إليها في بعض الفترات التاريخية زنوج من زنجبار، وكانت تفد إليها بكثرة سفن العرب منذ عصور قديمة، وقبل ظهور أنوار الإسلام. ولكن النفوذ العربي الإسلامي لم يتوطد في جزيرة مايوت وانجوان إلا منذ القرن الخامس الهجري؛ حيث ظهرت رعيه إسلامية كبيرة العدد في تلك

الفترة، ولقد شهد القرن السادس عشر الميلادي قدوم البرتغاليين إلى تلك الجزر؛ حيث فتحوها ولكنهم مروا عليها كما برى سبيل. وبعد انصرافهم من هناك، جاءت جماعات من الفرس الشيرازيين.

أما جزيرة محلى الثالثة مايوت، انجوان فغاية ما يعرف عنها أن سكانها قوم زنوج، جاءوا من أفريقيا، ثم جاء بعدهم العرب المسلمون وأهل مدغشقر، وفي القرن السادس عشر الميلادي ومع بدايته ١٥٦٠م، قدم قوم من فارس من الشيرازيين، تحت قيادة أحدهم، الذي هو أحد أبناء محمد بن عيسى. وتشارك جزيرة انجوان ومحلى التاريخ الإسلامي المشترك نفسه؛ حيث شهدت قدوم وفود من الزنج والعرب، ثم المدغشقرين، ولما وصل محمد بن عيسى الشيرازي إلى جزيرة القمر الكبرى فإنه أرسل ابنه حسن بن محمد بن محمد بن عيسى الشيرازي ومعه جماعة من الشيرازيين، الذين قدموا معه وكانت معهم بعض الأسلحة؛ مما اتاح لهم السيطرة على جزيرة انجوان .

والغريب أن الجزيرة الكبرى مروت أو مايوت ليس فيها نهر ولا عيون ولا آبار؛ حيث تنزل عليهم الأمطار متواصلة لاتقطع طول العام، وتأتي بعدها جزيرة هنزون، وهي تأتي بعد جزيرة مروت في السعة والأهمية وكثرة السكان، ويطلق عليها جزيرة انجوان، أما اسم هنزون فهو اسم أوروبي.

وقد جرى الله السلف الصالح من هذه الأمة المباركة، التي حملت دعوة الإسلام الى هذه الشعوب في تلك الجزر الصغيرة النائية، حيث بذلوا الصعاب في حمل الأمانة بإخلاص ونقلها إلى ارجاء المعمورة، والتي بذلت من أجل وصول نداء الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله بالدماء والأموال، وباعت كل شيء لله، وفي سبيل الله عز وجل .

وقد ذكر أنه في أوائل القرن الثاني الهجري ، نزل العرب هذه الجزر الأربع للدعوة، ونشر الإسلام؛ بجانب أننا لاننكر أن العمل التجاري كان من أهداف بعض دعاة الإسلام، وقال بعض المؤرخين أن نزول العرب هذه الجزر كان ميلاداً صادف ليلة مقمرة، مضاءه بأنوار القمر الفضية الجميلة، فسموها جزر القمر، وقد ذكر العلامة الشيخ برهان مكلا القمري في كتابه المحفوظ أن معنى جزائر القمر هو قمر السماء، الذي تشاهده ليلاً، وهي عبارة عن مجموعة من جزر جنوب شرق أفريقيا، وتمتاز هذه الجزائر بمناظرها الطبيعية الخلابة ومياهها العذبة وهوائها العليل الصحي.

ويتكون هذه الجزر من مجموعة عناصر سلالية وعرقية وجنسية متفرقة، ولكنها اندمجت بعضها في بعض حتى أصبحت أمة واحدة، تجمعها وحدة الدين والعقيدة والمحبة والأخوة الإسلامية، وعاش هذا الشعب قروناً طويلة في وحدة متأخياً معتصماً متمسكاً بدين الله القويم، دين الإسلام.

وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة أنه لما ساح في أفريقيا، وقصد مدينة كلوه، كان فيها آنذاك سلطان يسمى الحسن أبا الظفر، ويكنى بأبي المواهب، وذكر أن تحت ملكه جزائر القمر، ومن هنا يتضح أن الإسلام قد ازدهر في هذه الجزر، وتدعمت أركانه ورسخت قواعده؛ مما ساعد على تطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمر من أمور الرعية، وهكذا ظهرت في الجزر حكومات إسلامية، دانت من يوم بدء دخول الإسلام إلى هذه الجزر القمرية الجميلة، إلا أنها بعد ذلك ضعفت ووهنت، وكانت المأساة بدخول الاستعمار الفرنسي إلى هذه الجزر العربية الإسلامية، والذي عمل من جانبه على إبعاد هذه الجزيرة وغيرها من جزر القمر عن جيرانها وأخوة الإسلام في البلاد العربية الإسلامية، وعمل على إفساح المجال أمام رجال التبشير المسيحي؛ لكي يقوموا بدورهم في نشر الديانة المسيحية والدعوة لها، ومحاربة التيار الإسلامي بقوة؛ وكما فعل رجال التبشير في الساحل الشمال وبلاد الصومال، فعل رجال الاستعمار الغربي في جزر القمر؛ لأن الوجود الإسلامي كان قد رسخت أقدامه، وتوطدت دعائمه وقيمه؛ حتى خلقت قاعدة إسلامية البلاد؛ حيث توجهت الدولة وجهة إسلامية عربية، وكانت جزر القمر إحدى الدول، التي انضمت مؤخراً للجامعة العربية، وصارت الدولة الثامنة والعشرين في الجامعة العربية، وبدأت تعمل على تعميق الروح الإسلامية العربية .

جزيرة القمر الكبرى نجلزيبه

يطلق على جزيرة القمر الكبرى، التي هي إحدى الجزر الأربع، بل أكبرها من حيث المساحة والسكان. وقد أشار إلى ذلك عديد من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين، الذين كتبوا ، وأرخوا لهذه الجزر، التي وقعت تحت سيادتهم وسيطرتهم الإستعمارية؛ حيث كانت الكتابات العربية عن هذه الجزر تكاد تكون ضئيلة بل نادرة، ومن ذلك ما كتبه أحد الفرنسيين، الذى يدعى انيقولا دوبلاية فى كتابه «القومور الكبرى» la grand comore؛ حيث قال إن أرخبيل جزر القمر يتألف من أربع جزر معروفة، هى جزيرة مايوت السابق الإشارة إليها، وجزيرة محلى، وجزيرة انجوان، ثم الجزيرة الكبرى: هذه التى تعتبر أكبرها، وكل هذه الجزر الأربع واقعة فى مضيق موزمبيق، وتبلغ مساحتها نحو مائتى وخمسة وأربعين كيلو متراً، مع انحراف من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى ، فالقصور الكبرى مابين خطى ٥٥,٤٠ و ١٢,٤١ من الطول الشرقى ، ١٣,١١ من العرض الجنوبى، بينها وبين شاطئ شرق أفريقيا مائة وستون (١٦٠) ميلاً، وبينها وبين جزيرة محلى ثمانية وعشرون ميلاً (٢٨ ميل) ، وبينها وبين جزيرة انجوان خمسون ميلاً (٥٠ ميل) بينها وبين جزيرة مايوت مائة وتسعة وستون ميلاً (١٦٩ ميل) ، وطول هذه الجزيرة ٦٦ كيلو متراً، وعرضها أربعة وعشرين كيلو، واكبر ميناء بها ميناء مرونى فى الغرب، وهو العاصمة أيضاً، التى تحكم منها جزر القمر الأربع .

وبها مدينة ميتسامولى فى الشمال الغربى، وشفيدنى فى الجنوب الشرقى ، وتسليمانى فى الجنوب الغربى، وهى جزيرة مرتفعة فيها جبل، يقال له جبل « الكارتالا »، ويبلغ ارتفاعه الفين وخمسمائة متر، وأن بها عينين أحدهما فى مقاطعة بادجيني، والأخرى فى مقاطعة ميتسامولى.

ويبلغ عدد سكان جزيرة القمر الكبرى مائتى وخمسون الف نسمة، وتبلغ نسبة النساء أكثر من الرجال، ويرجع نقص الرجال بسبب الحروب التى كانت قد وقعت بين سلاطينها مع كثرة المهاجرين إلى زنجبار، إذا انتقل منهم حوالى ١٥ خمسة عشر ألف رجل إلى زنجبار عام ١٨٩٩ م .

ويذكر أن العرب قدموا إلى جزر القمر الكبرى، فى القرن العاشر الميلادى، وحطوا رحالهم بهذه الجزر القمرية، بعد أن كان قدموهم من مسقط بعمان وغيرها من البلاد

العربية الأخرى، وقد كان مع العرب أعداد كبيرة من الزوج، ووجدوا فيها عند حضورهم عدد كبير من قبائل الكفر، لم يعلم عددهم وقت مجيئهم. وباختلاط هذه الأجناس العربية الإسلامية، التي هي من السلالة السامية الخالصة مع المدغشقرين ومع الباتو، تكون الجنس القمري الحالى، وكذلك قدم الهنود والعرب إلى هذه الجزر فيما بعد.

ويمتاز الإنسان القمورى بأنه طويل القامة، ويحملون فى أوساطهم خناجر معقوفة بقبضات من ذهب أو فضة، أما النساء فيلبسن الحرير ضافياً، ويجعلن على أكتافهن ورؤوسهن منديلاً من حرير .

وأما المساكن فهي مبنية من الحجر والجير، وأكثرها ذات طبقة واحدة وسطوحها مستوية، وسقفها ودورها بالخشب والأبواب والنوافذ مصنوعة بالخشب المنقوش المخرم، وهم يقضون اوقات فى الجوامع للصلاة، أو فى ساحات البلدة مستأنسين للراحة والأحاديث، وكل واحد سبخته فى يده .

وجميع القوموريين شديدو التمسك بدينهم الإسلامى، وإن كانت الطبقة العالية المتعلمة أكثر تمسكاً بتعاليم الإسلام ومبادئه الخالدة، أما اهل الطبقات الدنيا فإنهم يميلون إلى الخرافات والجوامع والمساجد كثيرة فى المدن والقرى، ففى مروتى عاصمة جزيرة مايوت اثنا عشر مسجداً، مع أن اهل البلدة لا يزيدون عن ٣٥ خمسة وثلاثين الف نسمة، ويقوم المشايخ والفقهاء ورجال الدين بتعليم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ودراسة العلوم الإسلامية الفقهية والشرعية، مع بعض مبادئ الحساب، وجميع السكان يراعون تطبيق الشريعة، ثم مراعاة ذلك فى جميع أمورهم الحياتية، كما أنه توجد مدارس تعلم العلوم العربية الإسلامية واللغة العربية، وهى منتشرة فى كل المدن والقرى، أما لغتهم فهي نوع من اللغة السواحيلية الزنازبارية وتكتب بالأحرف العربية، أما لغة دواوين السلطان فهي اللغة العربية العظمى . ومدينة مرونى عاصمة جزر القمر، وهى مدينة جميلة هادئة، أكثر بيوتها تغيب تحت ظلال الأشجار الكثيفة، وبيوتها بيضاء، وذات طابق واحد أو طابقين، وليس فيها العمارات الكبيرة، ذات الأدوار والطوائف المتعددة؛ فهي مدينة ذات طابع شرقى إسلامى .

وعندما خضعت الجزيرة للاستعمار الفرنسى - عندما سيطر على الجزيرة - فقد كانت جزيرة القمر الكبرى مقسمة إلى اثنتى عشرة مقاطعة لكل مقاطعة، منها سلطان يحكمها،

وأكبرهم اسمه سلطان تيبه، ويخضع له جميع السلاطين، وكان السلطان الرئيسى، الأعلى هو السيد على بن السلطان السيد عمر، صاحب مقام كبير فى الجزيرة، وقد كان والده السيد عمر سلطان جزيرة انجوان .

وقد حدث صراع فى الجزيرة بين سلاطينها، أدى إلى وضعها تحت الحماية الفرنسية؛ ذلك لأن سلطان تيبه القمر الكبرى، قد أوصى قبل وفاته أن يكون السلطان أحمد خلفاً له، فلما مات أحمد، وأراد السلطان على أحد سلاطين الولايات الاثنى عشرة تسليم الملك، اعترض عليه بقية السلاطين، وأبوا طاعته والتفوا حول الامير موسى فومو، سلطان إحدى هذه المقاطعات، والذي طمع فى أن يكون سلطان تيبه ، فوقعت الحرب، ودارت رحاها على الامير موسى؛ وذلك بسبب تدخل سلاطين الجزر القمورية المجاورة للجزيرة الكبرى حيث علونه فى تلك الحرب الدائرة ، سلطان انجوان وسلطان جزيرة محلى ، وسكان مدينة بادجيني الكبيرة للسلطان على، وانتهى أمر السلطان موسى. وبعد ذلك قدمت لميناء مورونى بارجة من قبل سلطان زنجبار، تقل القنصل العام الإنجليزى، الذى جاء يعرض على السلطان على أن يدخل تحت حماية السلطات البريطانية، فرفض على حماية بريطانيا، وأرسل إلى قائد مايوت بعرض دخوله تحت الحماية الفرنسية، فلم يحصل يومئذ على جواب، ولكن بعد ثلاث شهور.. ثم وضع الجزيرة تحت الحماية الفرنسية .

وكان السلطان موسى فومو قد طلب حماية إنجلترا، وأرسلت له أسلحة وذخيرة كثيرة؛ لكى تساعده فى صراعه ضد السلطان على ، ومن هنا بادر السلطان على إلى طلب حماية فرنسا؛ حيث عقدت معه فرنسا فى ٦ يناير ١٨٨٦م معاهدة، تتضمن أن يكون لفرنسا الوضع الأول فى جزر القمر الكبرى، دون سائر الاجانب، وأن السلطان لا يتنازل عن شىء من الأراضى لأية دولة أجنبية، ولا يعقد معاهدة مع أية دولة اجنبية إلا برضى فرنسا ، وأن السلطان لا يعزل أحد السلاطين، ولا يعلن حرباً إلا برضى الحكومة الفرنسية، وعند موت السلطان يكون لفرنسا وحدها الحق فى تعيين خلف له، أو تعيين مجلس لإدارة البلاد .

ولكن هذه المعاهدة مع فرنسا أثارت نائرة القوموريين الذين اتهموا السلطان على بأنه باع جزيرتهم للفرنسيين، وخرّب ديارهم، وصاروا عبيداً للاستعمار الفرنسى، وكان أن بدأت الثورة عام ١٨٨٩م فى مقاطعة بادجيني الكبرى، وتولاها أمير اسمه (اواشيون) فأرسلت فرنسا قوة قتلت اواشيون، ولكن الثورة ازدادت ضد الفرنسيين؛ مما أدى إلى قتل القنصل الفرنسى بالجزيرة .

أما الإدارة الوطنية قبل حصول جزر القمر على استقلالها من الاستعمار الفرنسي، كانت فى أيدي ثمانية قضاة ومائة واحد وأربعين شيخ قرية؛ فالقاضي يفصل فى الدعاوى وينفذها، ويصدق المعقود، وفى حالة استئناف الدعاوى يوجد مجلس مشكل ومكون من كل القضاة، أما شيخ القرية فيجيبى الأموال، ويقوم بالضبط والربط فى القرية، وله أعوان يساعده فى مهمته. ولقد أدى الاستعمار رسالته؛ حيث قلب اللغة العربية، التى كانت سائدة إلى لغة فرنسية؛ حيث إن الثقافة الفرنسية هى السائدة، رغم عروبة سكانها، وهكذا حرمت المخططات الاستعمارية على العرب حد التكلم بلغتهم الحبيبة إلى قلوبهم؛ ولذا نشأ الجيل الجديد وهم لا يعرفون لغتهم الأصلية، وهكذا عمل الاستعمار جاهداً على حرب الإسلام واللغة العربية بكل الوسائل .

ويتطلع سكان جزيرة القمر الكبرى إلى عناية ورعاية البلاد العربية والإسلامية لبلادهم؛ حيث إنهم يحسون بالعزلة وعدم توطيد العلاقات والصلات معهم، وهم على حق فى هذا؛ فمثل هذه البلاد تسكنها ففة مسلمة كبيرة، قلوبها وعواطفها وأرواحها مع مسلمى بلاد الشرقى الإسلامى .

جزيرة فانجوان

هذه الجزيرة هي أيضاً إحدى جزر أرخبيل القمر، ولها سلطان مستقل، وهي تقع إلى الشمال من جزيرة مايوت إلى الغرب بحوالى عشرين مرحلة، وكذلك تسع مراحل إلى الشرق من جزيرة محلى، و ١٥ مرحلة من جزيرة القمر الكبرى، ومساحة جزيرة انجوان ثلاثمائة وثمانية وسبعين (٣٧٨ كيلومتراً، وأعلى قمة جبلية فيها ارتفاعها ١٥٧٨ متراً) وهي جزيرة بديعة، كثيرة الأشجار، غنية بالنباتات؛ لاسيما المقاطعة المسماة مورنى، وإلى الشمال الغربى منها جزيرة صغيرة، اسمها جزيرة السرج. وفي أكثر جزيرة انجوان، نجد مياه جارية تفيض بين الودية، وفي جزيرة انجوان مراسى وموانى صالحة للسفن ورسوها، وهي: انجوان ، فومبانى ، بوزينى ، باجى ، بانس ، ومرفاً دومونى يصلح لرسو البوارج والسفن الكبرى، وتنقسم الجزيرة إلى عدة أقسام .

وأكبر المدن بها مدينة موتسامودو؛ حيث كانت هذه فى عهد سلاطين الجزيرة الذين سوروها بجدران عالية، وحصنها بقلعة، وهذه المدينة يوجد بها قصر السلطان والمحكمة ودار الخزانة القديمة، وبعض الدور القديمة الباقية، كما يوجد بها الجامع الأعظم بمنارته السوداء ذات المصاييح، وفى الخارج من السور، على طول نهر مورو جامجى، وبها أكواخ السكان .

أما القلعة فهى شاهقة مبنية على سخرة عالية، لها برجان عاليان مربعان، وبرج آخر يرتفع عليه العلم السلطانى الأبيض والـ حمر فى الأعياد . وهناك عاصمة ثابتة، اسمها دومونى واقعة فى الجزيرة، ولكن هذه العاصمة لم يبق منها سوى بعض المساجد، وبعض منازل الإشراف. وفى أحد هذه المساجد صومعة منحوتة فى الحجر، داخلها زخارف ونقوش عربية، وهى من الآثار المعمارية العربية ، وإلى الجنوب تقع مدينة صغيرة اسمها مويما ، وفى الجزيرة كلها ثمانين قرية، أكثر أهلها من جنس الماكوا الزوج .

وجميع سكان هذه الجزيرة أكثر من مائة وخمسين ألف نسمة، وهم يهودون فى أصولهم التاريخية إلى ثلاثة أجناس، هم العرب والماكوا والبوزمنى، ويقال إن أول من عمر هذه الجزيرة هم البوزمن، ثم جاء بعدهم العرب، ومعهم الماكوا والبوزمن، الذين ربما جاءوا من مدغشقر، وقد دخلوا فى الدين الإسلامى فى القرن السادس عشر وإسلامهم خالص؛ فهم يعملون بالأوامر والنواهى القرآنية، ويحرصون على التمسك بالشرعية، وقد رفضوا

الخضوع للسيطرة العربية عند قدوم العرب إلى تلك الجزيرة، ولكن عند دخولهم عقيدة الإسلام: فإنهم تألفوا وتعاونوا وتضامنوا مع إخوانهم العرب؛ حيث صار الجميع إخوة مسلمون .

أما العرب فأصلهم من سواحل الخليج العربي وعمان والبحر الأحمر، وتبدو عليهم سحنة أهل اليمن ، وكل العرب يدعون أنهم أشرف، وأنهم من ذرية الرسول ﷺ وأكثرهم يدعون أنهم طالبيون هاشميون قرشيون، وهم يحافظون على الصلاة، ويؤدونها في المساجد في أوقاتها ، وهو يبدون المعارضة والكره للمستعمر الأبيض المسيحي الفرنسي، الذى حاول أن ينشر المسيحية بينهم .

وأما الجنس الثالث بعد البوزمن والعرب، فهم الماكوا وأصلهم من موزمبيق، ومن سواحل شرق أفريقيا، وقد قدموا بصحبة إخوانهم العرب، وفضلوا العمل فى الزراعة، وهم أهل مودة، كما أنه يوجد بعض الهنود فى انجوان، إضافة إلى المدغشقرين . أما لغات انجوان مع صغر الجزيرة، فهى أربع لغات، أكثرها شيوخاً هى اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والإسلام، واللغة السواحلية التى تشكل العربية نحو ٦٠٪ من مفرداتها ثم الانجوانية ، ثم اللغة الماكوية .

واللغة العربية هى اللغة الرسمية قبل قدوم الاستعمار الفرنسى، فهى لغة الدين والديوان والمعاملات، وبها تصدر الأوامر السلطانية ومضابط القضاة وجميع الرسمية إلى اليوم ، أما اللغة السواحلية فهى لغة التجارة، وكثيراً ما تكتب بها الأوراق الرسمية؛ لا سيما بعد عهد الاستعمار وأثناء احتلاله، حيث عمل على إبدال حروفها العربية إلى الحروف اللاتينية ، أما اللغة الانجوانية فهى خليط من اللغة العربية والسواحلية والماكوى والبرتغالى والفرنساوى والانجليزى ، ويتكلمون بها فى كل الجزيرة ، أما الماكوية فهى لغة الزنوج، وهذه اللغة تتلاشى أمام اللغات الأخرى .

وينتشر الزى العربى فى الجزيرة، فهى الملابس العربية الفضفاضة مع الكوفية على الرأس والخنجر فى الوسط، ويطبق سكان جزيرة انجوان الشريعة الإسلامية تطبيقاً تاماً، ويعملون بجميع أوامرها ونواهيها، وإن كانت توجد بعض العادات، التى تتنافى مع بعض المبادئ الإسلامية ، وكذلك تسود المفاهيم الإسلامية؛ حيث انهم يحكمون عن طريق السلطان، ولكنهم يرون أن تملكهم للأراضى الزراعية هو الله تعالى ومنه، وينتشر بينهم المذهب السنى الشافعى حيث يقوم حكم القضاء بناء على ما جاء بالمذهب الشافعى والكتاب والسنة، والكتب التى يعتمدون عليها بعد القرآن الكريم والسنة كتاب «نهج الطالبين» و«الفتح العربى» .

وللجزيرة قاضي واحد كبير، هو قاضي مدينة أمر تسمودو، وكان السلطان فى الماضى يبلغ الحكم، عن طريق مجلس شورى مشهود من الأعيان والقضاة، أما الآن فإنه لم يبق للسلطان إلا إعطاء النصائح، والقاضى الكبير موضع احترام وتقدير وحب الجميع حكومة وشعب؛ حيث يعمل على جمع الرباط الأخرى بين المسلمين، ويحرص سكان الجزيرة على تعليم أولادهم وتحفيظهم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية؛ وذلك لكى يشبوا متمسكين بالإسلام وتعاليمه، وتكون لديهم القدرة على مواجهة التحديات، فنجد أنه فى سن السادسة يرسلون أولادهم إلى الكتاب ذكوراً وأناً، ولا يفصلون بين نوعيهم إلا فى سن البلوغ، ويقوم الشيخ أو الفقيه بتعليمهم القراءة والكتابة والحساب والتقويم، وكل ما له صلة بالإسلام وتشريعه والفقهاء وعلوم اللغة العربية، ويكتب لهم آيات القرآن الكريم، على ألواح بيضاء التى لا بد للأولاد أن يحفظوها، وإذا حفظوها يتم مسحها وكتابة غيرها حتى يتم حفظ القرآن الكريم كاملاً .

ويواظب أهل جزيرة انجوان على تأدية الصلوات الخمس فى ميقاتها وفى يوم الجمعة يخرج السلطان إلى صلاة الجمعة وأمامه اثنان، يحملان العلم السلطانى والمظلة السلطانية، ويصحبه بعض القوم فى ذهابه لصلاة الجمعة .

وجميع الأهالى حريصون على صوم شهر رمضان المعظم؛ حتى أن بعض الزوج من غير المسلمين يقوم بصوم رمضان، مراعاة لشعور اخوانهم المسلمين، كما أنه يوجد بعض الأوقاف التى توقف على المساجد ودور العلم، ومربوط فيئها للصرف على هذه الأغراض الدينية، وإن كانت تلك الأوقاف بصورة قليلة. وبالإضافة إلى المساجد ودور العلم، يوجد بعض القوم، يقفون ممتلكاتهم على وجه البر وصرفه فى سبيل الله، وجعل نظارته فى ذريته حفظاً لثروة البيت، وذلك حرصاً على عدم بيع الوقف فيما بعد، ولا شك أن الوقف كان معمولاً به أولاً فى مصر، وقد يكون وصل إليهم مع المذهب الشافعى من مصر .

والصناعات فى جزيرة انجوان قليلة؛ فهم يعملون فى الفخار والحصر والزنايل، وعندهم مطاحن على الهواء، ويستخرجون عصير السكر، ويقوم العرب بزراعة قصب السكر والكاكاو، وعندهم كثير من زراعات البن، التى قدموا بها من اليمن. أما التجارة فلهم بها باع طويل، فهم تجاراً وبحارة ومنذ القرن السابع عشر الميلادى، كان أهل انجوان يقومون بنقل البضائع إلى مدغشقر وبلاد شرق إفريقيا، وإلى الخليج العربى وعمان واليمن ومسقط .

وتاريخ انجوان الإسلامى والوجود العربى يشكل حلقة فى سلسلة حلقات تاريخ سائر جزر

القمر ، فقد استولى البرتغاليون على انجوان فترة من الزمن، ثم ثار الأهالي في وجوههم واضطر البرتغاليون إلى تركها ، ثم قدم إليها من شيراز بفارس الشيخ محمد بن عيسى الشيرازي مع جماعته، ونشروا فيها الإسلام، واستقر بها ابنه حسن بن محمد بن عيسى الشيرازي، فلتقاه أهلها بالبشر والترحاب، ونصبوه سلطاناً عليها، وقام ببناء المساجد في جميع القرى، وعمل على نشر التعاليم الإسلامية، ونشر حضارة الإسلام في ربوع الجزيرة، وأسس بنفسه سلطنة انجوان؛ إذ كان زعيم بلدة موتسا موندو، الذي كان يدعى فاني على، قد زوجه ابنته فتزوجها، وتلقب بالسلطان، ثم خلفه ابنه محمد، وتزوج بابنة حاكم جزيرة مايوت، فألحق بهذا الزواج مايوت بحكم انجوان، ثم أضاف إلى ملكه جزيرة محلي، واطاعة ملوك القمر الكبرى، وعلى هذا أصبح السلطان محمد بن حسن بن محمد بن عيسى الشيرازي سلطاناً، على جميع الجزر القمرية الأربع المشهورة، وأيضاً الجزر الصغرى المجاورة لها، والتي تخضع لنفوذه الإسلامي .

لكن هذه السلطة الواحدة على جميع الجزر لم تظل طويلاً، إذ انقلبت الطاعة الفعلية إلى طاعة اسمية في عهد ابنه عيسى بن محمد بن حسن ، ثم مات عيسى، وعهد بالإمارة إلى امرأته مولانة، فأعلن أهالي جزيرة مايوت الخروج عن طاعتها، وأعلن أحد الأمراء ويدعى مواتيا فاني الثورة عليها؛ مما اضطرها إلى الفرار إلى مدينة دوبرني، وقد وصلت إليه سفن هولندا؛ حيث زار احد بحارة هذا الاسطول تلك الجزيرة .

وقد توسع سكان الجزيرة في بناء المساجد؛ حيث تم إنشاء الجامع الكبير في عام ١٦٧٠ في مدينة موتسامودو، ولكن بعد فترة دخلت جزيرة انجوان في صراع مع مدغشقر؛ مما اضطر اهالي مدغشقر للفرار على انجوان، والسيطرة عليها، وأحرقوا قراها، واستباحوا حرمتها، وأسروا رجالها وقتلوا أسراها؛ فقام بعض الأمراء أحفاد السلاطين القدامى في وجوههم، ودفع غارات المدغشقريين، ثم خلفه الشيخ سليم وتسلطن حتى عام ١٧٩٧م، فمات وبويع ابنه أحمد، وهو دون سن البلوغ، فقام عمه علوى بثورة؛ لكي ينفرد بالملك فقتل والتجأ إلى زنجبار، ثم عاد بعد سنين، وخلع السلطان احمد، وتولى مكانه، وبقي في الملك حتى عام ١٨٢٠ . وبعد موته خلفه السلطان عبد الله الأول، وقضى معظم وقته في قتال زعيم مدغشقر راباناتيكا. وكان هذا الملك هو ابن عم راد، أما ملك الهوفا أكبر قبائل مدغشقر ، فبعد موت الملك فر مع جماعته من مدغشقر والتجأ إلى انجوان .

الصراع في الجزيرة : كان السلطان عبد الله الأول يمتاز بالكرم والنجدة وحسن

الضيافة؛ فلجأ إليه أحد زعماء قبائل الهوفا، ولكن ذلك المضيف لم يقابل كرم الضيافة إلا بالتمرد؛ حيث قام وصحبه من الهوفا بالثورة وأعلن الحرب على السلطان عبد الله الأول، فدارت الدائرة على المدغشقرى الهوفى : رامانتىكا ولكنه فر من جزيرة انجوان إلى جزيرة محلى؛ حيث استولى عليها ومن معه من قوات ، فأخذ السلطان عبد الله بجهز القوات؛ لكي تخلص جزيرة محلى من سيطرته، واستطاع السلطان عبد الله أن يسترد محلى؛ حيث كانت تلك الجزيرة تحت حكم سلطان من قبيلة الساكالاى المدغشقرية، والذي عمل على طرد زعيم الهوفا، وطارده عبد الله الأول من جزيرة مايوت، وطرده منها، ونصب الأمير السوكالافى أميراً عليها .

وقد تولى السلطة بعد السلطان عبد الله ابنه علوى، ولكن الفتن اشتعلت بين علوى ابن عبد الله وعمه سالم، الذى طمع فى الإدارة والإمارة، ثم اشتعلت الفتنة بين العم وابن أخيه، فزحف سالم برجاله، وتمت محاصرة علوى بن عبد الله؛ مما ساعده على الوقوف فى وجه الحصار، الذى فرضه عمه سالم عليه لمدة أربع سنوات ، لكن سائلاً عمل من جانبه على عدم وصول الإمدادات من أهل مايوت، وحال دون وصولها إلى علوى ، ثم تحالف مع سلطان جزيرة محلى، وتعاونوا سوياً على مهاجمة مدينة موتسامودو، ولكن علوى تسلل من تحت الحصار، وذهب إلى جزيرة القمر الكبرى، ومنها إلى موزمبيق؛ حيث أخذه الإنجليز أسيراً إلى كلكتا بالهند؛ حيث مات هناك عام ١٨٤٢م، وانفرد سالم بالجزيرة والحكم، ودفعه الإنجليز بعد القبض على ابن أخيه علوى، بمقاومة الاحتلال الفرنسى، وذلك على اعتبار أن جزيرة مايوت تابعة لسلطان انجوان. لكن بعد موت سالم تولى الحكم بعده ابنه عبد الله بن سالم الملقب بالكبير، وكان صديقاً للإنجليز فوقع معهم معاهدة صداقة، وقد حدثت فى عهده ثورة، قام بها عام ١٨٥٤م علوى حسينى، ولكن تلك الثورة فشلت ، إلا أنه فى عام ١٨٨٢م قام محمد بن سالم شقيق السلطان عبد الله بالثورة ضد أخيه، ولكن السلطان هزمه مرتين، ثم عفا عنه. ولكن تلك الثورات والحروب الداخلية ساعدت على انهيار حالة الجزيرة؛ مما اضطر السلطان عبد الله بن سالم الملقب بالكبير أن يطلب فى ١٥ أكتوبر ١٨٨٧م حماية فرنسا، التى أصدرت أوامرها بفرض الحماية .

وهكذا عملت السياسة الفرنسية- عن طريق ارسالها المقيم الفرنسى فى انجوان- إسقاط النفوذ العربى، والإقلال من سلطة السلطان، ولكن حدثت اعتداءات من جانب العرب؛ نظراً لتدخل المقيم الفرنسى فى الشؤون الداخلية، ولكن المقيم الفرنسى انسحب إلى جزيرة

ماهوت؛ حيث جاء بسفن حربية، وفي تلك الفترة مات السلطان عبد الله بن سالم، وقيل مات مسموماً أو مخنوقاً .

وفي ذلك الوقت بايع الزوج السيد عثمان بن سالم شفيق عبد الله ، وبايع أهل مدينة ماتسامودو السيد سالم ابن عبد الله، فهاجم الزوج المدينة، وأجبروا سالم والعرب الذين معه إلى ان يهربوا وينسحبوا إلى مدينة دوموني، وسار عثمان إلى تلك المدينة خلفهم، وقتل كثيراً من أعيانها، ونهبها، وقبض على اخيه سالم ورهطه، وجاء بهم إلى موتسامودو .

وفي ذلك الوقت قدم الأسطول الفرنسي، وسلم سالم الأمر، أما عثمان فبقي شهرين يقاومهم إلى أن فرغ ما عنده من سلاح، واضطر في النهاية إلى التسليم؛ فنفى عثمان وسالم معاً إلى جزيرة كبدونيا الجديدة في المحيط الهادى، وهكذا خضعت الجوان للسياسة والسيطرة الفرنسية الاستعمارية .

وتلك هى قصة الإسلام وتاريخه وانتشاره فى جزر القمر الأربعة، وكذلك فى بقية أنحاء شرق القارة الأفريقية، منذ العصور الأولى لظهور أنوار الدعوة الإسلامية، وسيراً مع الأحداث فى العصور الإسلامية، حتى قدوم حركة الاستعمار الحديثة الأوروبية: الإنجليزية والفرنسية والألمانية فى القرن التاسع عشر الميلادى .

الخاتمة

إنه من خلال تلك الدراسة عن حركة المد الإسلامى فى شرقى أفريقيا والقاء الظلال الإسلامىة فى تلك البقاع القريية من الاراضى العربية الإسلامىة فى آسيا وجنوب غرب هذه القارة فإنه يتضح لنا كيف تم الانتقال البشرى من آسيا إلى افريقية عبر باب المنذب وبحر العرب حيث كانت تلك الظاهرة لاتزال آثارها ظاهرة ترى رأى العين فى الساحل الشرقى الأفريقى حيث كان طريق باب المنذب اهم طرق الهجرة وكذلك اهم طرق التبادل التجارى والحضارى قبل الإسلام حيث ترك عرب الجزيرة فى الجانب الأفريقى أثرهم الحضارى والثقافى والعمرانى ،ذلك لأنه من المعروف تاريخياً أن عرب اليمن وجنوبى الجزيرة وساحل عمان قد هاجروا إلى الحبشة والساحل الشرقى (ساحل صوماليا ، ساحل الزنج) ونشروا ثقافتهم العربية فى وقت يرجع إلى عهد بعيد ايضا وفى حقيقة تلك الدراسة أن نقطة انطلاق التاريخ فى تلك المنطقة متصل اتصالا وثيقا بجنوب الجزيرة العربية ، إذا تدفق الساميون غزاة احيانا وتجاراً أخرى .

وبذلك كان العرب على صلة وثيقة بل عميقة الجذور بأفريقيا منذ القدم عن طريق التجارة والهجرة وخاصة إلى السواحل الشرقية من القارة ولا تزال آثارهم خير شاهد على ذلك . حيث كانت هذه المنطقة بحكم موقعها على الساحل المقابل لجنوب غرب الجزيرة المجال الحيوى للجماعات التى خرجت من بلاد العرب بصفة عامة وبلاد اليمن وجنوب الجزيرة العربية بصفة خاصة للتجارة وطلب الرزق أو لاتخاذ مواطن جديدة هرباً من حالات الذعر .

ومن المؤكد أن العرب كان لهم تأثيرهم الواضح فى شرق أفريقيا ، يدل على ذلك أن الاغريق والرومان اطلقوا عليه اسم ساحل عزائيا نسبة إلى احدى المالك القديمة التى كانت فى جنوب شبه الجزيرة العربية فى فترة سابقة على ظهور الإسلام لم تحدد تحديداً قاطعاً وجدير بالذكر، أنه على الرغم من معرفة الاغريق والرومان لساحل شرقى أفريقيا، إلا أنهم لم يتصلوا به اتصال العرب .

ولقد أقام العرب بعض المراكز التجارية على الساحل؛ حيث كان يصل إليهم رجال القبائل الأفريقية، يحملون إليهم الذهب والصمغ وغيره من منتجات بلادهم، ويقايضونهم بما لدى العرب من بضائع، وقد اضطرد نشاط حركة التعامل التجاريك فوصلت تجارة الذهب إلى درجة كبيرة من الانتعاش .

وقد شهد شرق القارة الافريقية حركة هجرة واسعة، على أثر انهيار سد مأرب باليمن؛ حيث خرجت من جنوب الجزيرة العربية هجرات عربية إلى مختلف الأنحاء الشرقية الأفريقية؛ حيث كان القرب الجغرافي، والمعرفة السابقة للساحل، والإخوة وأبناء العمومة قد سبقوا بالهجرة إلى تلك الأماكن في أزمان سحيقة في القدم ، وقد كان ربط الهجرات القديمة بالهجرات الحديثة اللاحقة بعد انهيار سد مأرب؛ مما زاد في التأثير العربي في سكان الساحل من قبائل البانتو ، وقد كانت هناك هجرات عربية شملت أعدادا كبيرة من التجار، قد استقرت على الشاطئء الغربي للبحر الاحمر في منطقة الحبشة، وبمرور الزمن تزايدت أعدادهم، وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة بطريقة تشبه- إلى حد كبير- ما حدث في ساحل الزنج؛ فتكونت مراكز حضرارية، فظلت لفترة طويلة على صلة بالوطن الام .

ويشير بعض المؤرخين إلى عدم توافر المعلومات الكافية عن حالة العرب، في ساحل شرق أفريقيا، في الفترة السابقة لظهور الإسلام ، إلا أن الذى لا شك فيه أن الصلات كانت قائمة لاتكاد تنقطع حتى ظهور الإسلام ، كما أنه يمكن القول أنه لم تكن للعرب قبل الإسلام اتصالات دائمة ومكثفة بشرق أفريقيا لاسيما الجزء الجنوبي المعروف بساحل الزنج، الذى يصل إلى سفالة من موزمبيق جنوباً، إنما كانت الصلات تقتصر فقط على عمليات التبادل التجارى ، وهكذا فإنه لم يكد القرن الاول الميلادى ينقضى، حتى كان هؤلاء العرب قد انطلقوا من مرحلة الرحلات الخاطفة إلى مرحلة الاقامة والاستقرار، فقد أنشأوا مراكز على طول هذه السواحل، وأقاموا فيها، وجلبوا أهلهم وذويهم، وطاب لهم المقام؛ حيث كانت هذه المراكز القديمة تنشأ على جزر قريبة من البر، يمكن الدفاع عنها، إذا اراد السكان الوطنيون المنتشرون في الساحل أن يتعرضوا بسوء لها .

وليس من شك في أن نتائج هذا التأثير العربي قد أدت إلى انتشار الدماء العربية، ممتزجة في الأغلب بدماء من البانتو، حيث تكون الشعب السواحلي.

وهكذا كان من الطبيعي أن تزداد تلك الصلوات بظهور أنوار الإسلام، وبدأ صفحة جديدة في تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، وفي هذه الفترة قام العرب والمسلمون بالدور الإيجابي في هذه العلاقات. وبالنسبة للجزء الشمالي من الحبشة، كانت قريش تتخذ أرض الحبشة متجراً لها . ولهذا كانت هجرة المسلمين الأوائل إلى تلك الديار؛ حيث أرسل الرسول ﷺ في العام الخامس من البعثة النبوية عام ٦١٤م، وقدم إلى ملك الحبشة، وذلك إثر العلاقات الطيبة التي كانت بين الرسول ﷺ وملك الحبشة . وهكذا تبلورت العلاقات بين العرب والحبشة في العصر الإسلامي إلى دور جديد، فكثرت توافد العرب المسلمين على الحبشة؛ من أجل التجارة، بعد أن دانت شبه الجزيرة العربية للإسلام، وأصبح المسلمون يتحكمون في التجارة الشرقية؛ حيث عبرت مجموعات إسلامية الساحل الغربي للبحر الأحمر، وأسسوا لهم مراكز استقرار دائمة، وكان أول اتصال واحتكاك بين الدولة الإسلامية والحبشة، في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب على ٢٠هـ / ٦٤٠م؛ حيث أرسل الخليفة سرية إلى الحبشة، وربما إلى جزر دهلك القريبة من شواطئ إلى الحبشة؛ لدفع أذى الأحباش وحماية شواطئ البلاد العربية من أي خطر يأتي من ناحية الأحباش، وقد وجدت في تلك الجزر القريبة من الشواطئ نقوش عربية إسلامية، يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن الميلادي .

وقد كان الانتشار العربي الإسلامي ما هو إلا طور من أطوار الانساع العربي الإسلامي؛ حيث كانت نتيجة نشاط الإمارات القريبة على ساحل حضرموت وعمان واليمن والحجاز ، بل ربما يرجع إلى جماعات كانت نفذ إلى المنطقة، بقصد الاستقرار أو الاندماج والتجارة، وهكذا ظهرت لسكان شبه الجزيرة دوافع لمحاولة الاستقرار الدائم في سواحل أفريقيا الشرقية، وإقامة كيان سياسي وعربي إسلامي . وبالتالي زادت الروابط بين العرب وشرق أفريقيا، ولم يقتصر الأمر على عرب شبه الجزيرة ، بل زاد أيضاً اتصال شرقي أفريقيا بكافة الدول العربية الإسلامية .

ولقد كانت الهجرات العربية للساحل الشرقي لأفريقية تزداد؛ بسبب المنازعات العربية والسياسية والمذهبية، كما كانت تجلب معها صوراً من صور الحضارة العربية الإسلامية من إقليم الأحساء والبحرين ، وعمان وحضرموت واليمن إلى شرق أفريقيا .

كذلك.. فإن المراكز العربية الإسلامية فى الحبشة- شأنها فى ذلك شأن بقية المراكز العربية على طول الساحل الشرقى- قد اتسمت بالطابع الإسلامى العربى التجارى، ومع كل هذا فإن الساحل لم يطبع انطباعاً تاماً بالطبعة العربية، ويرجع ذلك إلى اختلاف السكان وتباين اجناسهم وتعدد عناصرهم، وإن كان قد ترتب على ظهور الإسلام وهجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا، انتشار الدين الإسلامى .

وقد أدى التطور الحضارى لظهور المدن العربية الإسلامية ، أن تحولت المراكز التجارية إلى إمارات عربية إسلامية، يسكنها المهاجرون العرب ، على أنه يلاحظ أنه فى بداية الامر أن الثقافة واللغة، التى انتشرت على يد هؤلاء لم تتعد الساحل والجزر القريبة منه، ولكن بمرور الزمن امتد ذلك التأثير إلى الداخل؛ حيث أسلم المقيمون بها من الزنوج والمختلفون إلى الساحل، وهكذا.. كان ذلك سبباً جوهرياً لظهور هذه المدن فى سماء الحياة العربية الإسلامية .

وقد كان العرب يمثلون الطبقة الارستقراطية فى هذه المدن، وغلب الطابع الإسلامى وازداد بعد ذلك تدفق الموجات الإسلامية المهاجرة من الخليج العربى والجزيرة العربية، وهكذا كادت المنطقة الممتدة من ارتيريا شمالاً حتى موزمبيق جنوباً -من أثر الدعوة الإسلامية والدعاة- أن تكون جزءاً من العالم العربى الإسلامى الخالص، وهكذا كانت تلك المناطق تشبه فى تطورها الحضارى والإسلامى مناطق مسقط وعمان وحضرموت والإحساء وعسير والحجاز .

وهكذا أحدث الإسلام وما تبعه من مظاهر حضارته إسلامية، واستيطان عربى إسلامى أثره الكبير، كما أحدثت التجارة أثرها الكبير فى ساحل شرق أفريقيا، وهكذا كان ذلك الاستقرار سبباً له أثر كبير، ومؤثراً فعلاً؛ إذ إنه كان من أسباب استقرار العرب، قيام العلاقات على أساس من الود والأخوة الصادقة؛ حيث وجد أهل البلاد فى هؤلاء القادمين، نوعاً من الحماية، فازداد تقربهم إليهم واندماجهم فيهم، وارتبطوا معهم برباط المصاهرة والزواج، وهكذا كان جيل المولدين السواحيلية هو عماد الحياة فى المراكز الإسلامية فى شرق أفريقيا والحبشة، التى ارتبطت بالعرب ارتباطاً وثيقاً، تمثل فى الدين الإسلامى واللغة العربية (السواحيلية)، ثم رابطة الدم أيضاً .

ولقد أحس الوطنيون الباتو ، أن العرب جاءوا من أرض النبی، وأن كثيراً منهم لهم صلة نسب بالرسول ﷺ، ومن هنا تقربوا إليهم وتعاونوا معهم في نشر الإسلام ، حيث لقي المهاجرون ترحاباً وبسطة في العيش، وحسن معاشرة، وهكذا طاب لهم الاستقرار في تلك البقاع .

ولقد حدثت منذ القرن الاول الهجرى ، السابع الميلادى، هجرات واسعة، أشرت إليها في صلب ذلك البحث، والتي كانت تؤتى ثمارها في ظهور إمارات عربية كمدغشقر وبتانا ومبسا وزنجبار وبراءة وكلوه وموزمبيق وسفالة، وإمارات الطراز الإسلامى فى الحبشة ، حيث كانت تموج تلك المدن بالعناصر العربية؛ حيث ازداد الترابط بين عناصر السكان العرب والأفارقة ، وعلى هذا فقد كان استيطان العرب يمتد حتى سفالة جنوبي نهر الزمبيري ،على الرغم مما قيل من أن استيطانهم الحقيقى يرجع إلى القرن الثامن الميلادى ، فى حين كان ذلك قبل هذا بقرون عدة .

وهكذا أصبحت المنطقة الشرقية للقارة الأفريقية، توصف بأنها سلطنات عربية إسلامية، وهكذا نعمت الشعوب الأفريقية الإسلامية بالحكم الجديد، وتعاونت معه فى ظل الأخوة الإسلامية .

ولقد ازداد تدفق الهجرات العربية عبر القرون إلى شرق أفريقيا، حيث كان له أثر كبير فى نشر رسالة الإسلام على نطاق واسع، بل امتد أثر هذه الهجرات إلى أن تصبح تلك المدن مدناً عربية إسلامية خالصة، بل إنه كان من أثر وأبرز معالم الدور الإسلامى، أن الدعوة الإسلامية استطاعت- بما حملته من قيم إسلامية ومبادئ روحية وتعاليم ومفاهيم إنسانية وحضارة عربية- أن تؤثر فى حياة هذه الشعوب البدائية أثراً بعيداً، وهكذا شارك الأفارقة عن طريق الإسلام فى بناء الحضارة العربية الإسلامية الأفريقية، فى ذلك الجزء من القارة، وهذه نقطة مهمة فى تاريخ الاستقرار العربى الإسلامى؛ حيث أدى ذلك إلى سهولة الاتصال بداخل القارة.

وهكذا برزت معالم الحضارة الإسلامية فى فن البناء والمدن والمعمارات الزاهرة والمساجد ومباني الإدارة السلطانية؛ حيث استطاعت هذه المجتمعات- بعد أن تنوعت مصادر الثروة- أن تصل إلى درجة عالية من الثراء والازدهار الحضارى .

كما أنه كان من أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية قيام العرب باستغلال المناجم في الساحل الشرقي الأفريقي ، كما أن العرب أدخلوا إلى شرق أفريقيا المحاصيل الزراعية، التي لم تكن معروفة، وكذلك تربية الماشية والأغنام والإبل التي أصبحت من أهم صادرات المنطقة .

كما أنه مع تزايد وتطور العلاقات، انتشر الإسلام واللغة العربية بين الطرفين، ولعب العرب دوراً كبيراً في تحفيظ القرآن الكريم، وشرح تعاليم الشريعة وعلوم اللغة العربية، وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي .

ومن هنا فإن الثقافة العربية الإسلامية تأثرت بموقع المدن الإسلامية، وطبيعة الحياة فيها؛ حيث ترك الاتصال المستمر بالعالم الإسلامي أثره في الحياة الثقافية في البلاد ، كما كان فقهاء بلاد اليمن وعمان والخليج وعلمائها أكثر المسلمين وفوداً إلى هذه الجهات؛ حيث طبعوا الحياة الثقافية بطابعهم الإسلامي وآثروا في الحركة الإسلامية .

ولقد كان هذا التطور الحضاري في بناء المساجد يعني غلبة الطابع الديني على الثقافة العربية الإسلامية، ومن هنا فإن مدن شرق أفريقيا جميعها قد ظهرت بالمظهر الإسلامي، وقد لعبت الحركة التعليمية الإسلامية دورها كمظهر من مظاهر التطور الحضاري والثقافي الإسلامي في هذه البلاد ، ومن هنا فإنه يمكن القول أن النشاط التعليمي في علوم الدين واللغة العربية كانا يتقدمان بمدى انتشار الإسلام بين الأفارقة، ومدى استجابتهم لتلقى العلوم الإسلامية، التي كانت تلقى إقبالاً وترحيباً من سكان البلاد، بمجرد إعلان إسلامهم؛ إذ كانوا يسعون إلى حفظ القرآن الكريم ومعرفة العلوم الإسلامية .

وهكذا فإن تلك الشعوب الأفريقية التي اختلطت بالعرب، أدت إلى ظهور جيل للمولدين، مسلمي العقيدة، وتعرّبوا لساناً وامتزجوا جنسياً ينظرون إلى الخلافة الإسلامية في دمشق أو بغداد أو القاهرة، باعتبارها الوطن الأم، مركز الخلافة، فضلاً عن كونها موطن الحضارة والثقافة والفكر والعلم والدين في ذلك العصر .

ومن هنا كان بانء أفريقيا الشرقية قد تأثروا بالاختلاط بالعناصر العربية، منذ عصور قديمة، ولكن هذا التأثير لم يكن بدرجة واحدة، وهو أشد ما يكون على الساحل ومنطقة البحيرات، وما يليها شرقاً من إقليم السافانا والجهات شبه الصحراوية، وامتدادها على سواحل المحيط الهندي .

كما كان أثر المظهر الحضارى واضحاً في اللغة السواحلية، التي انتشرت انتشاراً واسعاً في شرق أفريقيا كلها، وذلك نتيجة ازدياد الدور الإسلامى الحضارى والثقافى ، وهكذا ترى كيف أن اللغة السواحلية كانت أحد المظاهر القوية للمظهر الحضارى الإسلامى؛ حيث ساعد الإسلام وأهله بما ملكوا من صفات وخصائل حضارية عريقة وثقافة إسلامية عربية، في ظهور تلك الديار بالمظهر الحضارى المتطور، وقد ذهبت شعوب الشاطئ الشرقى للقارة الأفريقية فى مدارج الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى أن أبناء شرق القارة الأفريقية كانوا قوة بشرية كبيرة، داخل نسيج الحياة العربية، كما أن تلك المدن هى المراكز الحقيقية للحياة الإسلامية؛ حيث عمل الفقهاء على إنشاء الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وإلى هؤلاء الفقهاء يرجع الفضل فى نشر الإسلام والثقافة العربية ، كما أنه صحب انتشار الإسلام والثقافة العربية تطبيق الشريعة الإسلامية؛ حيث كان عديد من الحكام، شليدى الحرص على تطبيق أمور الدين الإسلامى، فى كل ما يمس الحياة اليومية .

كما ساعد تنقل طلاب العلم والمعرفة من ساحل شرق أفريقيا إلى كل من القاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ومدن جنوب الجزيرة كحضر موت وصنماء والحديدة، وبغداد ودمشق على طبع البلاد بالطابع العربى الإسلامى ، وأدى ذلك إلى انتشار حركة العلوم والتعليم فى جميع أرجاء شرق افريقية .

وهكذا لعب الإسلام والمسلمون دورهم المهم والأساسى، فى ظهور الشعب السواحلى المسلم العربى؛ حيث تجلت معالم الحضارة الإسلامية، فى أجمل صورها فى تلك البقاع . ولقد كانت بالنسبة للإمارات الإسلامية الحبشية سلطنة شوا، أول المراكز الحضارية الإسلامية، التى ظهرت فى وسط الحبشة، وظهرت كقوة سياسية فى القرن الثالث الهجرى- وقد استمرت تلك الولاية الإسلامية تحكم أنحاء جنوب شرق الحبشة، حوالى أربعة قرون، كما ظهرت سلطنة أوقات، وهى احدى كبرى سبع سلطنات، وقد سبقت سلطنة شوا فى الظهور، وقد أسسها قوم من قريش، وأصبح سلطانها أقوى السلاطين المسلمين فى تلك الأرجاء؛ حيث استطاع حاكم «أوقات» القوى أن يفرض سلطانه على الإمارات الأخرى، التى كانت تجاور أوقات .

وعلى هذا فإنه نتيجة لظهور تلك السلطنات الإسلامية، وانتشار الإسلام فى الحبشة

والمناطق المحيطة بها ، فإن انهاء الحبشة قد شدوا الرحال إلى بر اليمن؛ للتزود من مدارسها الإسلامية المنتشرة، وكذلك إلى الحجاز؛ حيث الأماكن المقدسة. وقد شهد القرن السابع الهجرى ازدياد دور الإسلام، وتوسع رقعة تلك الامارات، حتى دخل الهضبة الحبشية؛ حيث أسلم كثيرون من أهلها، وهكذا أخذت سلطنة أوقات تتسع داخلياً؛ حيث أخذ مسيحيو الحبشة يعتنقون الدين الإسلامى، وقد وقع عبء مقاومة الاعتداء الحبشى المسيحى على اوقات ، حيث كان العامل الدينى هو المحرك الأساسى، فى تلك الحرب الدائرة بين الامارات الإسلامية والحبشية، بعد أن ازداد نشاط الدعاة المسلمين ، كما أن الاحباش كانوا على اتصال وثيق بالحركة الصليبية، والصراع الذى يدور على أرض الشام .

كما ظهرت إمارات أخرى إسلامية غير شوا وأوقات، منها إمارة بالى وهرر؛ حيث كانت هرر فى بعض الأوقات التاريخية أقوى هذه السلطنات، ولكن هذه الإمارات رغم صدق إيمانها، لم تكن قادرة على مواجهة الأحباش، الذين اتحدت كلمتهم، كما أن زيلع قامت بدور كبير فى حركة الجهاد الإسلامى، ولعبت دوراً مضاداً أقوى، وكانت إمارة عدل تشكل خطراً على النفوذ والقدرات المسيحية فى تلك الجهات .

ولقد كان تدفق النفوذ الإسلامى إلى بلاد الحبشة مشجعاً للعناصر العربية، التى كانت تعيش هناك ظاهرة أو متخفية ، ولكن الأحباش المسيحيين تغلبوا على هذه الحركات الإسلامية، وخرجوا من الصراع ظافرين، وذلك بفضل المساعدات البرتغالية. ولكن القرن السادس عشر شهد ظهور الأمير محمد بن إبراهيم، الملقب بالأشول أوأالقرين؛ حيث أراد الإمام أحمد أن يسير إلى قلب الحبشة، بعد أن انتصر عليهم، ويجهز على الجيش الباقى. ولكن المسلمين لم يتابعوا حركة الغزو، ووقعوا فى خطأ فادح، واستنجد الأحباش بالبرتغاليين، بعد أن كان المسلمون قد سيطروا عام ١٥٣٥ على أراضي جديدة وواسعة داخل الحبشة، ولم تعد هناك رقعة ضيقة يحكمها نجاشى الحبشة، وخرجت الأقاليم عن طاعته ، ولكن ملك البرتغال أرسل قوة برتغالية كبيرة، قوامها أربعمائة جندى، ومعها الأسلحة الحديثة والمدافع .

ولكن فى عام ١٥٥٨م أرسلت البرتغال قوات كثيرة جداً، ومعها أحدث الأسلحة العصرية، انتصر بعدها الأحباش، وقتل الإمام احمد بن ابراهيم، وخمدت حركة الجهاد الإسلامى؛ حيث إن ادراك لم يقوموا بالدور الواجب عليهم تجاه إخوة الإسلام، فى ذلك

الصراع، وانتهت هرو كقوة أساسية اسلامية وسياسية، فى الوقت الذى استطاع فيه الأقباش أن يمدوا هذا الخطر الإسلامى، وأن يتخلصوا من التهديد العثمانى ، إلا أنه رغم كل أنواع القسوة والمعاملة الحبشية غير الإنسانية.. فإن المسلمين استطاعوا أن يتغلغلوا فى كثير من الأقاليم الحبشية؛ حيث الجنوب والشرق، كما استقرت جماعات مهاجرة بالقرب من أديس أبابا .

وفى حقيقة الأمر لو أن الامارات الإسلامية تعاونت تعاوناً صادقاً، وكان الموقف الإسلامى الخارجى مشجعاً ودافعاً لما تقوض هذا البناء الإسلامى، ولما عانى أخوة الإسلام فى أرتيريا وغيرها من الأقاليم الإسلامية من تلك السيطرة الحبشية المسيحية، التى تحاول أن تطمس معالم الإسلام ومعالم الحضارة العربية الإسلامية بكل قوة .

وكما شهدت ممالك الطراز الإسلامى هذا التحول والنمو السياسى والاقتصادى والحضارى ، فإن ساحل الصومال مر بهذه الظروف، ولو أنه لم يدخل فى صراع طويل مع القوة المسيحية ، حيث كانت إمارة مقديشو أو ساحل البنادر أو اقليم صوماليا، تسيطر على منطقة شرق أفريقيا الوسطى، كما كانت تمتد من خليج عدن شمالاً إلى خليج ديلاجو جنوباً . وقد حافظت مقديشو على استقلالها؛ فلم يستطع سلاطين الزنج أن يسيطروا عليها، وقد ظهر تخضر و رقى هذه الإمارة العربية من روايات ابن بطوطة، كما ورد ذكر مقديشو فى حوليات الصين؛ حيث إنها مدينة عظيمة، وكون العرب بها طبقة ارستقراطية حاكمة، كما شارك شعبها والشعب الصومالى الإمام أحمد القرين حركة الجهاد ضد الأقباش .

كما أن هجرات الصوماليين فى القرن السادس عشر قد أخرجتهم من مواطنهم، ودفعتهم نحو الغرب؛ حيث استغلوا فرصة الضيق والضعف، التى تعانى منها الحبشة، وهاجروا إليها وأوغلوا فيها، وهذا يعطى الدليل لانطلاق الصوماليين؛ للمشاركة فى حركة الجهاد الإسلامى.

كما أنه ليس هناك شك فى أن مقديشو فرضت نفوذها السياسى على بعض الأجزاء والمدن المحيطة بها شمالاً وجنوباً؛ فقد مدت نفوذها فى رأس حافون، ومدت نفوذها جنوباً إلى براوة وقسمايو، بعد أن اعلن حكام هذه المدن ولائهم لمقديشو وحكامها وتعاونوا معها . وقد انعكس الأثر الدينى الإسلامى على المساجد على طول الساحل، وبدأت اللغة

"حضارة الإسلاميه تنتشر بين مسلمي الباتو، وهكذا كانت مقديشيو أقوى الإمارات الإسلاميه على الساحل الشرقى لأفريقيا ، حيث إننا نجد أنه عند قدوم البرتغاليين إلى هذه السواحل، فإنهم أخضعوا المدن جميعها ، ثم جاء دور مقديشيو، ولما رأى البرتغاليون موقفها المسكرى فإنهم تراجعوا عنها، وكان موقفها من الأسباب القوية، التي أدت إلى تقلص النفوذ البرتغال فى الساحل الشمالى لشرقى أفريقيا .

وقد ساعد مقديشيو على أن تقف ذلك الموقف، وتكون بتلك الصورة القوية، أن هذه الإمارة تختلف عن الإمارات الشماليه الحبشيه، والتي دخلت لفترة أربعة قرون، فى صراع مع الحبشة المسيحية ، حيث إن مقديشيو لم تكن بجوارها دولة مسيحية لها تنازعها السيادة، وتحاول القضاء عليها، مما أعطاها الفرحه للازدهار، كما تحدث عنها بذلك ابن بطوطه عند زيارته لهذه المدينه، ووصفها وصفاً تفصيلياً .

ولقد كانت إلى الجنوب من مقديشيو، تمتد سلسله من الإمارات حتى سفاله جنوباً، كان أقدمها ميناء أو جزيرة قبلوه، التي أنشأها العرب، وتشير الروايات إلى أنه ظهرت فى تلك الجزيرة حكومه عرييه، وأن جماعة من عرب الأزده، كانت تعمل بالتجارة وتسكن معهم جماعات من الأفارقة ، كما أنه ظهرت إمارة نبت، واستطاعت أن تستولى على الساحل من مالنده إلى كلوه ثم تبعتها إمارة ممبسا ومقديشيو وزنجبار، ولكن زعامه كلوه كانت أكثر هذه الزعامات بقاء وأكثرها قوة؛ لأنها كانت تسيطر جنوباً فى منطقه سفاله، وتقوم بالتجارة فى الذهب ، ويعتقد أن كلوه استطاعت أن تبسط سيطرتها على تجارة الذهب؛ خاصة وأن الذهب كان ينقل إليها من المنطقه المعروفة حالياً برودسيا (زمبابوى) .

وقد انتشرت الثقافة والحضارة العربيه الإسلاميه فى كلوه، ووفد إليها العلماء ورجال الدين؛ حيث كانت تعقد دروس العلم والدين فى المدارس، التي ظهرت فيها، وحيث وفد إليها الطلاب . ومن هنا كانت كلوه مركزاً كبيراً من مراكز الحياه العلميه الإسلاميه، بل بؤره اشعاع فكرى وعلمى فى عالم شرق أفريقيا، وكذلك كانت مكاناً، تنتشر منه الثقافة والعلم والدعوة الإسلاميه إلى البقاع المجاوره، إضافة إلى كونها مركزاً، تتجمع فيه المؤثرات الإسلاميه والحضاريه والثقافيه؛ لكى تصل إلى الداخل؛ حيث قلب القاره .

كما ساهمت باتا بدورها فى ظل أسرة آل نيهان، وكذلك ممبسا ، كما أن باتا وصلت

إلى درجة عالية من التقدم والتطور العسكري؛ حيث ضمت إليها بعض المدن مثل قسمايو ، براوة ، ومقدشيو ، كما أنها استطاعت أن تمت نفوذها جنوباً، ولكن نفوذها كان إلى الشمال أكثر منه إلى الجنوب .

وشهدت ممبسا- كما شهدت كلوه وباتا- نهضة عربية إسلامية حتى قدوم البرتغاليين، وهذه المجموعة من الإمارات الإسلامية السابق الإشارة إليها، قد وصل عددها إلى أكثر من خمس عشرة مدينة مطلة على الساحل، غير المدن العربية الداخلية، التي وصل عددها جميعها إلى أربعين مدينة عربية إسلامية .

إلا أن دوة كلوه يرجع إليها الفضل في أنها استطاعت أن توحد معظم المراكز الإسلامية، في ساحل شرق أفريقيا، وبلغت ذروة قوتها في عهد سليمان بن علي ثان، فلم تستعص عليه من مدن الساحل، سوى مدينة مقدشيو كما استوطن العرب إقليم سفالة جنوب موزمبيق .

وإذا كان قد قدر لسلاطنت الطراز الإسلامي أن تواجه خطر الأحباش، فإن إمارات ساحل الزنج وساحل البنادر قد واجهت خطر الزحف الصليبي البرتغالي ، حيث كان البرتغاليون قد تبعوا المسلمين؛ حين قدموا إلى شرق أفريقيا، ووصلوا إلى سفالة، أول مدينة عربية إسلامية في جنوب شرق أفريقيا، حيث انتقل مسرح الصراع الصليبي من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي؛ حيث كانت تجارة المحيط في أيدي العرب، وكان ظهور البرتغاليين بداية صراع دموي عنيف، استمر أكثر من قرنين من الزمان، وقد استطاعت البرتغال أن تحقق أهدافها في تضييق الخناق على المسلمين، والانتقام من المسلمين، والبحث عن مواطن الذهب والتوابل، والاتصال بالمملكة المسيحية في الحبشة .

وهكذا كان من أثر الوجود البرتغالي، أن تحولت التجارة الشرقية عن طريق الخليج العربي والبحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي؛ حيث الوصول إلى أوروبا مباشرة، واتخاذ ساحل شرق أفريقيا، بمثابة قواعد ملاحية في الطريق إلى الهند ، وأخذ البرتغاليون ينشئون على الساحل مستعمرات ومحطات تجارية وحصوناً وثغوراً، بعد أن استخدموا أقصى الوسائل الوحشية في السيطرة على كل هذه المدن والسواحل، بحيث إنه لم تنج مدينة من هذه المدن، واستطاعوا أن يقضوا على كل مراكز الحضارة العربية الإسلامية وثقافتها الزاهرة، وأن يقضوا أيضاً على

كل الوكالات والمؤسسات التجارية، التي أنشأها العرب في تلك البقاع، وكذلك كان من أولى مخططاتهم الدعوة لتكثيف النشاط المسيحي، والقضاء على كل أثر للإسلام في تلك الديار، وعلى هذا فما أن تمت تلك الفتوحات، حتى شرع البرتغاليون في نشر الدين المسيحي، وتأسيس الأسقفيات والكنائس والقلاع المسيحية، وإرسال أبناء شرق أفريقيا إلى جوبا بالهند، أو لشبونة عاصمة البرتغال، بينما توقفت حركة الهجرة العربية الإسلامية والصلوات العربية الإسلامية مع الساحل .

ولقد رفض العرب والمسلمون تلك السيطرة البرتغالية، وقاوموا هذا الوجود وقاموا بالثورة، ورفضوا التبعية للبرتغاليين، لكن الأسطول البرتغالي وخروج آكلى لحوم البشر من الداخل استطاع أن يقضى على آمال المسلمين، في التخلص من الحكم البرتغالي .

وقرر البرتغاليون إقامة قلعة في ممبسا، أطلقوا عليها اسم يسوع المسيح؛ مما يعطى الدليل القاطع على أن الرغبة الحقيقية في السيطرة والاحتلال البرتغالي لشرق أفريقيا، كانت محاربة الإسلام، والقضاء على كل ما هو إسلامي أو عربي في تلك المناطق .

لكن امراء ممبسا قاوموا كل هذه الأعمال، وانتقموا من البرتغاليين، وطردهم من المدينة، وأخذت الثورة الإسلامية تشتعل في أغلب المدن الإسلامية، وقد نبهت تلك الثورة البرتغاليين إلى ضرورة تشديد قبضتهم على القسم الشمالي من شرق أفريقيا فأعادوا بناء قلعة يسوع المسيح، بعد أن كان أهل ممبسا قد ساووها بالأرض .

ولكن الله هياً للإسلام قوة دافعة، رفع لواءها عرب اليمن من اليعاربة، الذين عملوا على تقليص النفوذ البرتغالي من شرق أفريقيا، ومن ثم أخذوا يشجعون الأفارقة ويمدونهم بالسلاح والعتاد والقوات، وعلى هذا فإنه قد تطلع سكان الساحل الأفريقي لأبناء عمومتهم في عمان ومسقط؛ لإنقاذهم من سطوة البرتغاليين، وهكذا بدأ تدخل عمان في الصراع العربي البرتغالي الذي تدور رحاه في شرق أفريقيا، حيث استطاعت دولة اليعاربة العمانية عام ١٦٥٢م أن تقضى على سيطرة البرتغاليين في شرق أفريقيا .

وهكذا كان من نتيجة هذا النجاح الإسلامي العماني تصفية الوجود البرتغالي، واشتعال ثورة عربية إسلامية، في كل المدن الساحلية، ضد حكم البرتغاليين، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ويبدو أن اشتعال واتساع ثورات المسلمين في شرق أفريقيا جعلت إمام

اليعاربة بتطلع إلى إنهاء الوجود البرتغالي في أقصى الجنوب؛ حيث اتجه إلى قلب موزمبيق وحاصر قلعتها، إلا أن العرب اضطروا لرفع الحصار لظروف داخلية في سلطنة عمان .

ولسنا بحاجة إلى القول إلى أن التفوق البحري العماني، كان له أثر كبير في إحراز هذه النتائج العسكرية والسياسية في شرق أفريقيا، يضاف إلى ذلك تزعزع مركز البرتغاليين في شرق أفريقيا، الإسلامية؛ بسبب وجودهم الهامشي على الساحل، وعدم تغلغلهم في الداخل. كذلك كانت قوة العمانيين وشدة إيمانهم بالقضية، التي يناضلون من أجلها، وهي نظرة إخوانهم في العروبة والإسلام .ولقد كان سقوط ممبسا هو العامل الحاسم، الذي أنهى الوجود البرتغالي في هذا القسم الشمالي من ساحل أفريقيا، وهكذا فإنه بسقوط ذلك الحصن، وضعت دولة اليعاربة العمانية نهاية لتفوق البرتغاليين في شرق أفريقيا، وهكذا قلب رجال الإسلام الهزيمة إلى نصر وحقق هذا النجاح، الذي قاده أبطال عمان ما لم تحققه الدعوة الإسلامية في القرون الأربعة الأولى على الاستقرار الإسلامي، وهكذا ارتبطت ثورة ممبسا على البرتغاليين بالصلوات والعلاقات الأخوية الإسلامية، التي كانت تربط بين الساحل الشرقي الأفريقي وبين عرب عمان، ومن هنا.. فإنه تم على أثر السيادة العربية الإسلامية العمانية انطلاقة جديدة للإسلام؛ مما يجعلنا نؤكد إن ذلك التدخل العماني قد أتاح للدعوة الإسلامية المناخ الصالح للانتشار، ومع ذلك استطاع سلاطين اليعاربة أن يرثوا البرتغاليين في تأسيس دولة عربية، لها سيادة إسلامية، امتدت على جزء كبير من ساحل شرق أفريقيا .

ولكن قامت عدة ثورات في هذه الإمارات، قام بها حكام الولايات الإسلامية، أمثال آل المزروعى في ممبسا، وآل نهبان في باتا؛ مما جعل سلطان عمان، أحمد بن سعيد، يدرك مدى خطورة حدوث انفصال بين شرق القارة، وبين عمان. وعلى هذا قرر السلطان ضرورة القضاء على حكام ممبسا المزروعيين والنهبانيين في باتا، وهكذا واجهت الدولة البوسعيدية تلك الحركة الانفصالية، التي ظهرت في المناطق الأفريقية بالحزم والقوة ، على أنه مهما يقال عن خفض تلك السيطرة العمانية البوسعيدية، فإن الذى لا شك فيه أن اتجاه أحمد بن سعيد إلى شرق أفريقيا، كان بالقدر الذى سمحت به ظروفه؛ لتأكيد حقوق عمان في تلك الجهات ، وقد امتازت فترة حكم أحمد بن سعيد بنمو العلاقات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا، واستمرارها؛ مما ساعد على تنمية الموارد الاقتصادية.

وعندما تولى سلطنة عمان السلطان سعيد بن سلطان، فإنه عمل على بسط نفوذه بقوة إلى هذه الأرجاء؛ مما دفعه إلى الاستيلاء على ممبسا عام ١٨٣٧م، ثم كان عام ١٨٤٠م عام نقل مقر السلطنة إلى شرقى القارة؛ بحيث استطاعت أن تخضع هذه المنطقة وجميع الموانئ المهمة والجزر الساحلية، وعلى هذا فقد صادف السلطان سعيد نجاحاً كبيراً فى شرق القارة، على الرغم من أن عصره كان عصر الاستعمار الأوروبى الحديث، ومن ثم اتجهت الدول الأوروبية ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا جميعها إلى مصارعة السلطان المسلم فى هذه المنطقة، إضافة إلى النفوذ البلجيكى فى الداخل، وبذلك يكون الحديث قد انتهى عن تلك الإمارات الساحلية، ويبقى بعد ذلك جزيرة مدغشقر وجزر القمر، التى انتشر فيها الجنس العربى منذ فترات طويلة؛ حيث اختلط العرب المسلمون مع الأفارقة، الذين زحفوا من شرق القارة إلى هذه الجزر، واختلطوا سوياً، وتكون الشعب المدغشقرى والشعب القمرى، وانتشرت معالم الحضارة العربية الإسلامية، وسادت ثقافة إسلامية، تجلت فى أحلى صورها، فى تلك الأطر، التى كانت عليها هذه الجزر والسواحل، وهكذا فعل الإسلام وأهله والعروبة وأهلها- قبل ظهور الدعوة الإسلامية- دوراً فى انتقال تلك المنطقة من حالة البدائية والهمجية والانعزالية إلى حالة الترقى والتطور الحضارى، والانصاف مع شعوب العالم، بظهور تلك الإمارات الإسلامية وظهور اللغة السواحلية، وهذا ما شهد به أعداء الإسلام من كتاب الغرب فى كتاباتهم .

المصادر والمراجع

- ١- العمرى : ابن فضل الله ت ٧٤٢هـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .
- ٢- الإدريسي : محمد بن عبد الله : ت ٥٦٠هـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . ليدن . ١٨٩٣ م .
- ٣- الاصطخرى : (ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى) ت ٣٤٦هـ المسالك والممالك . القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ٤- ابن بطوطة : ابو عبد الله محمد بن اللواتى ت ٧٧٩هـ . تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جزء ، القاهرة ١٨٣٩ م .
- ٥- ابن حوقل : ابو القاسم النصيبى ت ٣٥٠هـ : صورة الأرض . ليدن ١٩٣٨ م .
- ٦- ابن اياس (ابو البركات محمد بن محمد ت ٩٣٠هـ : بدائع الزهور فى وقائع الدهور : القاهرة ١٣١١هـ .
- ٧- ابن خرداذبة (ابو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك . ليدن ١٨٨٩ م .
- ٨- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٩هـ ، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والمعجم والبربر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
- ٩- ابن سعيد المغربى ت ٦٨٥هـ : بسط الأرض فى الطول والعرض . نطوان ١٩٥٨ م .
- ١٠- البكرى : ابو عبد الله بن عبد العزيز البكرى : ت ٨٤٧هـ . المغرب وذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، الجزائر ، ١٨٥٧ م .
- ١١- القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على ت ٨١٢هـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . ١٤ جزء ، القاهرة ١٩٢٢هـ .
- ١٢- المسعودى : أبو الحسن : مروج الذهب ومعادن الجوهر . القاهرة . ١٩٤٥ م .
- ١٣- القزوينى أبو زكريا : آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت . ١٩٦٠ م .
- ١٤- ابن الفقيه الهمذانى . البلدان .
- ١٥- المقدسى : محمد بن محمد ت ٣٨٠هـ ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : ليدن ١٩٠٩ م .
- ١٦- المقرئى : الإمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام . القاهرة ١٩٠٨ م .
- ١٧- الطبرى ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الام والملوك . ليدن ١٨٩٣ م .
- ١٨- ابن تفرى بردى : جمال الدين يوسف : النجوم الزاهرة . القاهرة . ١٩٤٤ م .

- ١٩- الوردى . سراج الدين عمر : زبدة العجائب وجريدة الغرائب ، بيروت . ١٩٦٤ م .
- ٢٠- ابو الفدا، إسماعيل : ت ٧٣٢هـ : تقويم البلدان . الجزائر ١٨٣٩ م .
- ٢١- ياقوت: أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ : معجم البلدان . القاهرة ١٩٠٦ .
- ٢٢- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب ت ٨٢٠هـ : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١م .
- ٢٣- الصوافى : عبد الله بن مصبح : كتاب السلوة فى أخبار كلوه عن أوراق الشيخ محى الدين الزنجبارى ، تحقيق آرثر سترونج ، لندن . ١٨٩٥م .
- ٢٤- عرب فقيه . أحمد بن عبد القادر شهاب الدين : فتوح الحبشة . نشرة رينيه باسطة . باريس ١٩٠٩م
- ٢٥- زين الدين . محى الدين : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين : مخطوطة عربية حققها دافيد لويس لشبونة ، ١٨٩٨ م .
- ٢٦- الحيمى : سيرة الحبشة - حديقة النظر وبهجة الفكر فى عجائب السفر . تحقيق مراد كامل . القاهرة . ١٩٥٨ م .
- ٢٧- السالمى : نور الدين : تحفة الأعيان بسيرة آل عمران . تحقيق أبو إسحاق إبراهيم طفيش . القاهرة . ١٣٣٠ .
- ٢٨- الوزان ، الحسن : وصف أفريقيا . ترجمة عبد الرحمن حميدة . الرياض . ١٣٩٥هـ .
- ٢٩- إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية . القاهرة ١٩٧٢ م .
- ٣٠- أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ٣١- أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية . القاهرة ١٩٨٣ .
- ٣٢- أحمد سويلم العمرى : الأفريقيون والعرب . القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٣٣- أنعام الله خان : تقويم العالم الإسلامى : كراتشى ١٩٤٢ م .
- ٣٤- السيد يوسف نصر : جهود مصر الكشفية فى أفريقيا . القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٣٥- توفيق ميخائيل : غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبار . القاهرة ١٩٠١ م .
- ٣٦- جامع عمر عيسى الصومالى : الصومال فى العصور الوسطى والحديثة . القاهرة ١٣٨٥م .
- ٣٧- جمال حمدان : العالم الإسلامى المعاصر ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ٣٨- جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الأفريقية، قبل حركة الكشوف الجغرافية(فصل) القاهرة ١٩٧٧م
- ٣٩- جمال زكريا قاسم : تفكك العلاقات العربية الأفريقية، خلال العصر الاستعمارى . تصل ، الفاوة ، ١٩٧٨ .

- ٤٠- جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ١٩٧٥ م .
 ٤١- جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا . القاهرة ١٩٦٧ م .
 ٤٢- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا . القاهرة . ١٩٦٣ .
 ٤٣- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية . القاهرة ١٩٨٤ م .
 ٤٤- حسن إبراهيم حسن : الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى . القاهرة ١٩٥٧ م .

- ٤٥- جمال محمد احمد : وجدان أفريقيا . الخرطوم ١٩٧٤ م .
 ٤٦- زاهر رياض : مصر وأفريقيا : القاهرة ١٩٧٦ م .
 ٤٧- زاهر رياض : استعمار أفريقيا القارة . ١٩٦٥ م .
 ٤٨- زاهر رياض : الإسلام في اثيوبيا ، القاهرة ١٩٦٤ م .
 ٤٩- زاهر رياض : تاريخ اثيوبيا . القاهرة ١٩٦٦ م .
 ٥٠- حمدى السيد : الصومال . القاهرة ١٩٦٦ م .
 ٥١- شوقى عطا الله الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر . القاهرة ١٩٨٤ م .
 ٥٢- الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط . القاهرة ١٩٧٢ م .

- ٥٣- صلاح العقاد : جمال زكريا قاسم . زنجبار . القاهرة . ١٩٦٥ م .
 ٥٤- عايشة اليسار : دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا . بيروت . ١٩٧٥ م .
 ٥٥- عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا . القاهرة . ١٩٧٠ م .
 ٥٦- عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . القاهرة ١٩٤٧ م .
 ٥٧- عبد الغنى خلف الله : مستقبل أفريقيا السياسى . القاهرة ١٩٦١ م .
 ٥٨- عبد الفتاح الغنيمى : الإسلام والعروبة في السودان . القاهرة . ١٩٨٥ م .
 ٥٩- عبده بدوى : مدن أفريقية . القاهرة . د . ت .
 ٦٠- عبده بدوى : السود والحضارة العربية . القاهرة ١٩٧٦ م .
 ٦١- فضل حورانى : العرب والملاحة البحرية في المحيط الهندى . القاهرة . ١٩٥٨ م .
 ٦٢- عبد الرازق الخالدى : مسقط وعمان، السلطنة المجهولة . بيروت ، ١٩٥٧ م .
 ٦٣- محمد امين صالح : العرب والإسلام . القاهرة ١٩٨٤ م .
 ٦٤- محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية . القاهرة ١٩٦٥ م .
 ٦٥- محمد سليمان : دور الأزهر في السودان ، القاهرة ١٩٧٥ م .
 ٦٦- محمد رجب حراز : التوسع الايطالى في شرق أفريقيا . القاهرة ١٩٦٠ م .
 ٦٧- محمد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا . القاهرة ١٩٧١ م .

- ٦٨- محمد عبد العزيز إسحاق : نهضة افريقية . القاهرة . ١٩٧٦م .
- ٦٩- محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى (فصل) القاهرة ١٩٧٨م .
- ٧٠- محمد المعتصم سيد : مهدى الصومال . القاهرة د. ت .
- ٧١- محمد محمود الصواف : أفريقيا المسلمة . بيروت . ١٣٩٥هـ .
- ٧٢- محمود على توبارى : قضية القرن الأفريقى . القاهرة ١٩٧٦م .
- ٧٣- محمود كامل : الإسلام والعروبة ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- ٧٤- محمود على الداود : تاريخ العلاقات البرتغالية مع الخليج . بغداد ١٩٦٠م .
- ٧٥- عونى مصطفى : سلطنة الظلام فى مسقط وعمان : بيروت ، ١٩٦٤م .
- ٧٦- محمد صبرى : مصر فى أفريقيا الشرقية . القاهرة . ١٩٣٩م .
- ٧٧- يوسف أحمد : الإسلام فى الحبشة . القاهرة . ١٩٣٠م .

٢- المراجع العربية (المترجمة) .

- ٧٨- جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتاريخية عن شرق أفريقيا . تعريب يوسف كمال القاهرة . ١٩٢٧م .
- ٧٩- أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين . القاهرة ١٩٥٧م .
- ٨٠- بوركهات ، جون لويس : رحلات بوركهات فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد أندراوس . القاهرة ١٩٥٩م .
- ٨١- جوليان ، شارل أندريه : تاريخ أفريقيا ، ترجمة طلعت عوض اباطة ، القاهرة ١٩٦٨م .
- ٨٢- دقدسن . بازل : أفريقيا تحت اضواء جديدة . ترجمة جمال محمد احمد . بيروت . د. ت .
- ٨٣- اوليفر رولاند ، جون فيج : موجز تاريخ أفريقيا . ترجمة دولت احمدصادق ، مراجعة محمد السيد غلاب ، القاهرة د. ت .
- ٨٤- سلجمان ، س.ج : السلالات البشرية فى أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، القاهرة ١٩٥٩م .
- ٨٥- ديشان ، هوبير ، الديانات فى افريقيا السوداء . ترجمة احمد صادق حمدى . القاهرة ١٩٥٦م .
- ٨٦- لوثورب ، إستودارد : حاضر العالم ، تعليق شكيب أرسلان ، ترجمة الحجاج تهويض . القاهرة ١٩٤٣م .
- ٨٧ - ترمنجهام . س.ج : الإسلام فى شرق أفريقيا . ترجمة عاطف النواوى ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٣- الرسائل الجامعية .

- ٨٨- أحمد على أحمد: كلوه ، تاريخها وحضارتها ، ماجستير ، معهد الدراسات الأفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٣ م .
- ٨٩- راجية محمد عفت: الثقافة العربية فى شرق أفريقيا ، دكتوراه ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، د . ت .
- ٩٠- نوال محمد عبد العزيز: العرب فى شرق أفريقيا فى القرن الثامن الميلادى حتى تدخل البرتغاليين فى الخامس عشر الميلادى ، ماجستير ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة . ١٩٨٠ م .
- ٩١- إبراهيم عبد المجيد محمد : الاستعمار البريطانى فى الصومال ، ماجستير ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٩٢- إبراهيم عبد المجيد محمد: الاستعمار الفرنسى فى الصومال ، دكتوراه ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٢ م .

٤- الدوريات .

- ٩٣- إبراهيم طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية بالحيشة . مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الثانى ١٩٥٩ م .
- ٩٤- جمال زكريا قاسم : استقرار العرب فى ساحل شرق أفريقيا ، مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس . ١٩٦٥ م .
- ٩٥- جمال زكريا قاسم : الممالك الإسلامية فى الحيشة ، مجلة العربى الكويتية ، أبريل ١٩٧٣ م .
- ٩٦- سعد زغلول عبد ربه : الصراع الألمانى البريطانى فى شرق أفريقيا . مجلة الدراسات الأفريقية ، ١٩٧٦ م .
- ٩٧- عبد الفتاح مقلد الغنيمى : الدعوة الإسلامية فى شرق أفريقيا ، الدعوة . السعودية ، ١٣٩٥ هـ .
- ٩٨- زاهر رياض : اتجاهات مصر الأفريقية فى العصور الوسطى . مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مايو . ١٩٨٥ م .

المراجع الأجنبية

- 1- Anderson, J.R : Islamic law in Africa . London, 1954 .
- 2- Badger, G : History of the Imams and Seyyids of Oman, London, 1871.
- 3- Basse,H : Etudes sur l'Histoire d'Ethiopie . Paris, 1882.
- 4- Blyden, EW : Christianity, Islam and the Negro Race, London, 1888 .
- 5- Boxer, C.R : Fort Jusus and the Portugesse in Mombassa. London, 1961 .
- 6- Budge, E.A : History of Ethiopia, Nubia, Abyssinia . London, 1948 .
- 7- Burton, R : First Foot Prints in East Africa . London, 1856 .
- 8- Boxer, C.R : Four Centries of Portugesse Expansion, London, 1961 .
- 9- Calvert, A.F: German East Africa . London, 1954 .
- 10- Charles, R : East Africa Explorers . Oxford, 1938 .
- 11- Coupland,R: The explotation of East Africa . London, 1939 .
- 12- Coupland, R : East Africa and Its Invadors. London, 1942 .
- 13- Cooley, W.D : The Negro Land of the Arabs. London, 1841 .
- 14- Craster, E Pempa, The Spice Island of Zanzibar, London,1938 .
- 15- Eliot, C : East Africa Portectorate . London, 1965 .
- 16- Doman , M.H :The kilwa Civilisation and kilwa Ruins, London, 1938.
- 17- Dale, G : The people of Zanzibar London, 1920 .
- 18- Dixon, A : TheAfrica, uganda. and zanzibar and pempa London, 1848.
- 19- Free man, G : East Africa Caost Oxford, 1969 .
- 20- Fitzgerald, W.A : Travels in Zanzibar and Pempa . London,1848 .
- 21- Gabreil,F : Les Musulmans de Mudugas car et l'lies du Commeres . Paris, 1933 .
- 22- Grenville, F : The Medival History of Coast of Tanjanika, London, 1962.
- 23- Gray, J : History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856, London, 1958 .

- 24- Gray, J : History of kilwa , Tanjanika. London 1926 .
- 25- Gray, J : Early Portugesse Missionaries in East Africa . London,198 .
- 26- Greenbery, J : The Influence of Islam on Sudanese Religion . New York, 1947 .
- 27- Jarrrt, H.R : Africa . London, 1974
- 28- Hamitton, t.w : A short History of East Africa : London, 1929 .
- 29- Hichan, M : Islam in East Africa . London, 1942.
- 30- Holling S.W : A short History of East Coast of Africa .London, 1949 .
- 31- Hunting Ford, C.W : East Africa Background.London, 1950 .
- 32- Harlow, V :History of East Africa, oxford, 1954 .
- 33- Hodge, V and Collister, P Pioneers of East Africa. London, 1961.
- 34- Hutchinson, E:The Slave Trade of East Africa. London. 1874 .
- 35- Huxley,E : Settlers of Kenya. London, 1969 .
- 36- Ingrans, W.H: Zanzibar, Its History and Its People .London. 1976 .
- 37- Kammerir, A : Histiore d'Abysinie, paris, 1938.
- 38- Lyne. R.V : Zanzibar,London 1905 .
- 39- Longrigg, S.H : A short History of Eritrea. London 1945.
- 40- Marsh, z : Hirtory of East Africa. London 1955 .
- 41- Marshall,A : Fort Juses Mombassa . Kenya . London ,1934 .
- 42- Nevill, C : kilwa, An Islamic Trading Its on the East Africa Coast London,1938 .
- 43- Oliver, R : The Missionery fectorin East Africa, London 1958 .
- 44- Eliver, R : History of East Africa . Oxford. 1962 .
- 45- Pearce,F.B : Zanzibar the Islamd Metropolis of Eastern Africa . London. 1920 .
- 46- Pruen,S : The Arab and the Africa . London. 1891 .
- 47- Stong, A.s: History of kilwa . London, 1895 .
- 48- Stevenson, J : The Arabs in Central Africa . London, 1962 .
- 49- Stander, J : The Portugese Period in East Africa . London, 1959 .
- 50- Stiegand,C.H : The Land of the Zin J . London, 1949 .
- 51- Ssekamwa, J.C : History of Africa London. 1976.

- 52- Trimingham, J.S Islam in Ethiopia . Oxford, 1952 .
- 53- Reute, R : The Albusaid in Oman and East Africa. London, 1929 .
- 54- Rotbery, R : Travels, Researches and Missionary Labour in East Africa . London, 1958 .
- 55- Roberts, A : Tanzina before 1900. London,1975 .
- 56- Reusch, R : History of East Africa . London, 1938 .
- 57- Warner, A : History of Pata . London, 1915 .
- 58- were, G and wilson, A : East Africa through 1000 years, London, 1971 .
- 59- Zischka, A : Afrique Complement de l'Europe .
- 60- Trimingham, J . S The influence of Islam upon Africa . London, 1968

* * *